LeCaire - 8 — 6 — 1950

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

Ième année No 879

العدد ٨٧٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٩ — ٨ مايو سنة ١٩٥٠ — السنة الثامنة عشرة »

٤ — صور من الحياة :

قلوب من حجـــــر

للاستاذ كامل محمود حبيب

... وسمعت حديث الفلاح الذى حطمته رزايا الحياة وطحنته بلوى الزمن ، فأحس مهارة العيش حين مكر به الطبيب فاستنبه من قوت عياله ومساك روحه ليذر ابنه بين يدى الإهمال يتهاوى تحت صفعات المرض القاسية حتى لفظ نفسه الأخير ؛ وحين قاعليه سعادة اليك فامتص زهرة شبابه وغضارة عمره ثم ضن عليه بفضلة من المال كان يترجاها عسى أن تشبع شره الطبيب فيحنو على ابنه المريض المعنى ؛ وحين طرده رب العزبة من رحمته فقذف به إلى عرض الشارع وحبس عنه صبابة من رزق تقيم الأود وترد غائلة الجوع ... سمعت حديثه فتدفق فى قلبى أنات نفس آدها الحزن وأمضها الأسى ، فران على المجلس — مثلما ران على — صمت فيه روح الرثاء ، وشمله سكون فيه معنى العزاء ، وتراءى الشيخ فى حديثه كأنما يوقع الحان روحه على وتر أصابه الوهن والبلى فهو يوشك أن ينقد من طول ما عانى لولا بقية من عزم وإيمان ، وأحس كل واحد من رفاق بتاريخ نفسه المكلومة يهتز فيهب من غفوة ويصحو من سبات ، وهفت الأنفس إلى أن تنفض شكاتها على عينى وإن لكل واحد قصة يتوثب الظلم من خلالها ويفور الجشع من أضعافها ثم تظفر ثورة القوة باستخذاء الضعف وتصرع كبرياء الثراء ذل المسكنة ، ولكننى أطرقت فى صمت كأننى أستروح من تعب وأتنفس من ضيق .

يا عجبا ! هذه النفوس التى كانت — منذ ساعة — تتأنق بالبهجة وتهتز بالمرح ، قد استحالت — فى لمحة واحدة — إلى زفرات حرى تقعم الجو بالشجا والشجون لأن الماضى العقيم قد محا فيها فنسفها نسفاً !

وآذانى أن أجلس فى هذا المكان الجميل ، فى مهرجان الربيع ، بين الصمت والإطراق أسمع أنات صامتة وأحس شكوى مكتومة ، فقلت « ما بالكم قد سيطر عليكم الأسى وغمركم الوجوم كأنكم كنتم تجهلون ؟

فقال قائل « آه — ياسيدى — إن الضلوع هنا لتنضم على حسرات مرمضة لو زفرت على هذا الربيع الأخضر لاستحال — دفعة واحدة — إلى هشيم تذروه الرياح ، وإن النفوس لتكتم أشجانا لو اندلعت لاضطرمت الدنيا بجحيم يتلهب أوارها ، ولكن الصبر ... الصبر والإيمان ، يا سيدى ! »

وقال آخر « عزيز علينا أن ننشر عليك من خبث الحياة ما يرعجك فيفقدك متعة كنت تتمناها هنا » .

وقال ثالث « إن اليد التى تلوثها الجريمة مرة واحدة هى آثمة

لا ترحض تستطيع مياه الأرض أن تغسل عنها الرجس ، وإن القانون الذي يكبل بالحديد من يسرق كيزان الذرة ليرد بها سغب أولاده الجياع ليعجز عن أن يردع اللص ... اللص الذي يتسربل بالغنى والجاه فيستلب من الفقير قوت يومه وهو أحوج ما يكون إليه ! »

وتناثر الحديث حوالي بين بالشكوى حيناً ويغلي بالثورة حيناً ، فقلت « وي كأن في الحياة سراً قبيحاً يتوارى خلف أستار الطبيعة الوضاحة وهي تتألق بالحسن والجمال ! »

فقال قائل : « لو شئت لكشفت لك عن أسرار من الشجن ، ولهتكت حجاباً عن خبء من الألم » .

فقلت : « هاته »

قال : أما قصتي فهي قصة الغلظة التي لا تعرف الرحمة ، قصة القسوة التي لا تؤمن بالشفقة

لقد غبرت زماناً أعيش في عزبة رجل من ذوي الثراء والجاه أقنع بالكفاف وأرضى بالشظف ، أغدو إلى الحقل لأنزف قوة الشباب وفراهة الفتوة ، وأروح إلى الدار لأسكن إلى عطف الزوجة وحنان الولد ، لا أجد إلا أجر يومي وإلا غلة قراريط نافهة أستر بها عورة الأهل ، وأردبها شحاثة العدو . وأنا — إذ ذاك — فتى في فورة النشاط وذروة الصحة ، لا أنكص عن عمل ولا أنكل عن جهد . وتناهى خبري إلى صاحب العزبة فشملني بعطفه وغمرني بفضله فأحسست بالرخاء والخفض ، ولمست الهدوء والراحة .

وغاظ رئيس العمال أن أفوز بحظوة رب هذه الأرض وأنا عامل حقير ، في رأيه ؛ وخشي أن أستلب مكانته أو أن أنتزعه من مركزه فانطلق ينفث سمومه حولي ويدس لي السم في الدسم ، وأنا في لهو عن نوازع نفسه الشريرة ، وفي غفلة عن دوافع روحه الوضيعة .

وذهبت جهود الرجل هباء حين أعجزه أن يسول لصاحب العزبة رأي ، أو يوسوس له بأمر ، فانطوى على هم يتنزى في صدره فيسلبه القرار والسكينة ، وهيت روح الشر في نفسه جياشة تدفعه إلى غاية ، فراح يرهقني بالعمل ويضنيني بالجهد ويتعهدني بالإهانة ، وأنا أحمل النفس على الصبر وأكرهها على الصمت .

وضاقت حيلة الرجل فركب رأسه فدس لي رجلا من العمال يتحرش بي — أثناء العمل — في قسوة ، ويثير كوامن نفسي في سفاهة ، فلما حاولت أن أرد الكيد نحر صاحبه لم يرعني إلا كف العامل الأجير تهوي في عنف على وجه رفيقه ... وجهي أنا ... فطار للطمة حلمي ، وثارت كرامتي ، فاندفعت نحو المعتدي السفيه هائجاً من غيظ وحنق ... اندفعت صوبه أذيقه وبال جهله وغفلته . واستصرخ الرجل رفاقي فجاءوا يحمون الظالم من المظلوم ، وأقبل رئيس العمل يتهدد ويتوعد ، فأعلقت صمي من دون كلامه ثم تركت العمل — توا — إلى حيث صاحب العزبة ، رب هذه الأرض ، وسيد هؤلاء الناس .

ووقفت بين يدي صاحب العزبة أقص قصة المعركة التي اجتاحت العمل والعمال هناك ، في الغيط . ونفض صاحب الأرض بنظرة قاسية ثم قال : « أحقا ما تقول ؟ »

قلت « إي وربي ! »

قال « سنرى »

ثم تزاحم الناس في صحن الدار ، وجاء العمال — رفاقي — يزورون حديثاً يتقون به مرضاة الرئيس ، ووقفت مرتبكا أنظر حوالي في ذهول ، أفتش عن الحقيقة وهي تتوارى خلف سجف من الزور والبهتان ، فما وجدت في هذا الجمع رجل صدق وإيمان ، وأسقط في يدي فأمسكت عن الحديث واستسلمت .

وحدجني صاحب الأرض بنظرات عابسة يتوثب الغيظ من خلالها ثم قال « والآن ماذا ترى ؟ » فقلت « لا شيء » ثم أمسكت عن الحديث واستسلمت.

فقال في ثورة « إذن حكمنا عليك بكذا وكذا من الجنيهات تدفع بعضها عاجلا والباقي آجلا ، وموعدنا محصول القمح » .

فقلت في توسل « وأنى لي — ياسيدي — بهذا المبلغ الكبير وأنا رجل فقير ؟ » فقال في كبر : « لست أقبل مراوغة ولا مماطلة ولا دفاعا » قلت « ولمن يكون هذا المبلغ الجسيم ؟ » قال « ومالك أنت ولهذا ؟ ألا تعلم ؟ إنه لصاحب الأرض التي امتهنت كرامتها واستبحت حرمتها وعبثت بحماها ، لصاحب العمل الذي ضيعته وبذرت فيه الفوضى ، لي ... » وعجبت لحديث هذا الثري الشره فأردت أن أقذف في وجهه كلمة عنيفة جاسية ، فقلت « أو ترضى — ياسيدي — أن تنتزع مني قوت عيالي ومساك روحي غصباً ؟ » فقال في ترفع « هذا كلام رجل خلو من الأدب خلو من الحياء ، أخرج فأنت مطرود منذ الساعة » .

صحائف مطوية فى السياسة العربية

محاضرة عن الاسلام[1]

للاستاذ أحمد بك رمزى

فى يوم من أيام شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وكنت أشغل وظيفة قنصل مصر فى مدينة القدس ، زارنى وفد من هيئة جمعية الشبان المسيحية ، وقدم إلى برنامجا عن محاضرات العام ، وأشار الوفد إلى دعوة حضرة الأستاذ أحمد أمين بك لالقاء محاضرة عن الاسلام فى دار الجمعية .

وذكر لى أن العادة جرت عند تشريف أستاذ مصرى ذى مكانة خاصة ، أن يرأس الاجتماع قنصل مصر لتقديمه ، ولذلك عرض الوفد أن يكون الاجتماع برئاستى ، فاذا قبلت هذا وجهت الدعوة مع ذكر اسمى عليها ، وقد تمهلت فى القبول؛ فلما أس الوفد ترددى ، أطلعنى على نماذج من بطاقات الدعوات السابقة فقرأت عليها أسماء من تقدمونى فى هذا المنصب . هنا لم أجد ما يدعو إلى رفض هذه الرئاسة ، وهى بطبيعتها شرفية أوقل ذات طابع صورى ، وليس فيها ما يدعو إلى تحضير كلمة مطولة ؛ وانما يقتصر التقديم على القاء عبارات معينة معروفة . فوعدت الوفد بتلبية دعوته وخرج من عندى وقد اقتنعت من جهتى بأن المسألة قد انتهت ولم يعد هناك ما يبرر العودة اليها .

ولكن فى يوم الاثنين ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ وقد بدأت عملى كالعادة ، وجدت على مكتبى عدة برقيات فيها ما يأتى :

« ترؤسكم جمعية الشبان المسيحية التبشيرية الاستعمارية ، اساءة إلى عرب فلسطين ومسلميها ، الذين يرون فى هذه الجمعية خطراً يهدد كيانهم الدينى والسياسى » .

وقرأت فى برقية بامضاء الأستاذ عجاج نويهض ما يأتى :

« عرب فلسطين مقاطعون جمعية الشبان المسيحية منذ الاحتلال ، لكونها رائداً مقنعاً للاستعمار وللان لم يقف خطيب عربى مسلم على منبرها ، فخطبة الأستاذ أحمد أمين تحت رئاستكم ، جارح لكرامة مليون عربى ؛ فأحرار شباب العرب باسم الكرامة القومية يرجونكم العدول » .

ولم أكد أقرأ هذه البرقيات وما يحتويه بريد الصباح ، حتى جاء وقت المقابلات والزيارات ، فاذا فى مقدمة الحاضرين وفد عربى ، يتقدمه حضرة نبيه بك العظمة والأستاذ الصديق سامى السراج ، ولما انتظم المجلس ، بدأ الحديث عن المرض الزراعى الصناعى الذى كانت تقيمه الجمعية الزراعية الملكية فى ربيع سنة ١٩٣٦ ، وعن رغبة أهل فلسطين العرب فى زيارته ، لما له

١ — ألقيت فى جمعية الشبان المسيحية بالقدس عام ١٩٣٦ حين كان الكاتب القاضل قنصلا لمصر بفلسطين وشرق الأردن من ١٩٣٥ — ١٩٣٧ .

وخرجت من لدن صاحب الثراء العريض أجرر أذيال الخيبة والفشل وأحس مس الفاقة والضياع .

وجذبنى الأمل إلى رفاق سيدى وإلى ذوى قرابته ، أستعينهم واستعطفهم ، على واحداً يشفع لى لديه فيخفف من حكمه ويرد على عملى ، ولكننى وجدت قلوباً صماء لاتلين ، وعقولاً مغلقة لاتنفتح ، وأبواباً موصدة بأقفال من الكبرياء والترفع ، فرجعت إلى أهلى أحمل فى نفسى هم الندم . هم التعطل وهم الجوع .

وانطوت الأيام تنضج قمحى وفى النفس أمل وفى البطن شهوة ، فما راعنى إلا عمال صاحب العزبة يبكرون إلى حقلى — على حين غرة منى — يحصدون القمح ويحملونه إلى حيث يكون بيدراً صغيراً بين بيادر كبيرة . ووقفت أنظر وعالى بهم من يد فأدفع الظلم أو أظفر — عنوة — ببعض قمحى وهو جهد السنة وأمنية القلب .

ونظرت حولى فاذا الناس يهنئون من فرحة أيام الحصاد ويستمتعون بلذة الجنى ، إلا أنا ... غيا لقسوة الحرمان ! ويالمرارة الضيق !

ولا عجب — يابنى — فإن الانسانية حين تشهوى تسفل فتتضع فتنحط إلى أوضع مراتب الحيوانية !

فاضل محمود حبيب

من أهمية خاصة فى توطيد علاقتهم مع مصر الشقيقة الكبرى ، ثم انتقل الحديث وكأن لا صلة بين الموضوعين إلى المحاضرة ، التى أزمع الأستاذ أحمد أمين بك على القائها بجمعية الشبان المسيحية ، فكان من رأى الوفد المبادرة إلى الاعتذار عنها . أما أنا فقد أكدت للوفد أننى سأمكن أكبر عدد من أهل فلسطين من زيارة المعرض المصرى ، والتعرف إلى احوالهم المصريين . أما فيما يخص الاعتذار عن القاء المحاضرة ، فقد أبنت لهم بوضوح أننى قد وصفت كلمة تقديم المحاضر ، التى قرأتها بصوت مرتفع لجميع وسأقوم بالقائها على كل حال سواء حضر المحاضر أم اعتذر عن القاء محاضرته ، وكان مما قلته لحضراتهم وهم يذكرون ذلك جيدا « من أين تأتون لى بفرصة أخرى نتكلم عن الاسلام فى قاعة جمعية مسيحية ؟ أوجدوا لى هـــذه الفرصة فى مكان الجمعية كما تقولون أو أى مكان آخر ينطبق وصفها عليه من ناحية التبشير والاستعمار كما تقولون ، وأنا مستعد للرجوع وجعل الالقاء فى هذا المكان الذى تختارونه . اننى لا أنظر إلى المسألة من هذه الوجهة بالذات وإنما أقول ان فلسطين فى حاجة ماسة إلى جمع كل القوى التى يمكن أن تلتئم مع عمل القائمين بنهضة العرب وكفاحهم . ولا أشعر بأن هذه الجمعية ضدنا بل هى أمام تيار الصهيونية الجارف من مصلحتها أن تقف فى صف العرب ، ومن مصلحتنا أيضاً أن نجعلها فى صفنا ؛ وان لم تقف معنا الآن فسيجرفها التيار حتما ويقتلع جذورها معنا » .

وفى صباح يوم ٢٢ يناير قابلت المستر فرنس وكان يشغل وظيفة مدير المطبوعات لحكومة فلسطين ـ التقيت به فى ردهة فندق الملك داود فاخبرنى بانه أطلع على جرائد الصباح العربية وقال « انها قد خصصت جزءا كبيرا من أعمدتها للاحتجاج عليك وعلى الأستاذ أحمد أمين بك ، فماذا سيكون موقفكما أمام هـذه الحركة ؟ » . قلت « اننى قد أعددت كلمة لتقديم الأستاذ وسأحضر لالقائها فى الوعد المحدد كما اتفقنا ، والآن لا أعلم عن مجىء الأستاذ شيئاً . »

ولما ذهبت إلى دار القنصلية المصرية وجلست لعمل أعطيت لى مكالمة تليفونية مع حضرة الأستاذ أحمد أمين بك وكنت لم أتشرف بمعرفته بعد ، فقال لى « أنه حضر إلى القدس وهو يسعده أن يقابلنى » فلما سألته اين ينزل حتى أقوم بزيارته أولا ، لم يشأ أن يعلمنى بالمكان الذى نزل فيه وانما اخبرنى انه سيحضر لزيارتى فى الساعة الثالثة . ولما حضر فى الموعد قال لى « أعذرنى لما سببته لك من متاعب » .

قلت له « لا محل للاعتذار اذ اننى لم أنتب نفسى لشىء بعد »

وهنا التفت إلى وقال أنه مستعد لالقاء المحاضرة إذا كان الاستمرار فى مواجهة الحالة القائمة قد يسبب متاعب لى .

قلت له « انى مستعد لمواجهة عما تأتى به الأقدار ، وقد وضعنا فى هذا الموقف فعلينا أن نقبل به ونسلم ، وأن نواجه المتمنتين بالمنطق الذى يتفق مع الموقف » .

وهنا قلت له : « ترى لو دعى مبشر للخطابة عن المسيحية فى مسجد اسلامى ، أتظن أنه يترك هـذه الفرصة تفلت من بين يديه ؟ أقول هذا وقد اطلعت على ما نشر عن بعض المبشرين الذين اقحموا أنفسهم ومن غير دعوة سابقة ، فتقدموا للخطابة وسط الجماهير الاسلامية عند انتهائهم من صلاة الجمعة ، فكانوا فى موقفهم هذا دعاة يدعون إلى دينهم بطريقة لا يستسيغها العقل . ومع ذلك فنحن مدعوون ، فكيف نعتذر عن انتهاز فرصة مثل هـــذه ؟ أما من ناحيتى فقد عزمت على تقديمك بكلمة وسألقيها على كل حال » . فالتفت إلى وقال « نعم ليس من الرجولة فى شىء أن نعتذر الآن » قلت « اننى لن أتردد فى تقديمك ولكنى أن أعلمك بأن تقديمى سيأتى فى كلمة أطول من المعتاد . حتى أرد على هذه الحملة القائمة والتى أعتبرها هامة جداً فى نظرى بحيث إذا لم أوفق فى الرد عليها فلن أستطيع أن أقوم بأى عمل انشائى فى هذا الحقل العربى هنا » .

وافترقنا بعد أن أعلمنى أنه سيلقى كلمة فى نادى مدرســـة روضة المعارف الاسلامية (لا جمعية المقاصد الاسلامية كما ذكرها عزته فى الصفحة ٢٤٧ من كتاب « حياتى » فان جمعية المقاصد الاسلامية هى فى بيروت وليست بالقدس) وستقدمه هناك لجمهور المستمعين المسلمين حضرة الأستاذ حسن أبو رحاب .

***

وجاء موعد المحاضرة فى دار جمعية الشبان المسيحية ، وهى دار فخمة متسقة الأرجاء ـ أرجو أن يكون للمركز العام للشبان المسلمين مثل هذه الدار فى مدينة القاهرة ـ وقد خصص لالقاء

المحاضرة البناء الذى يشغله المسرح ، فامتلأت مقاعده بالحاضرين وتقدمت بالقاء كلمة لا أجد غضاضة فى نفسى من نشر بعض مقتطفات منها . وقد حدث فعلا أن الجرائد العربية التى وجهت اللوم الينا نشرت فى اعدادها الصادرة فى يوم الجمعة ٢٤ يناير وفى مقدمتها جريدة اللواء وجريدة الدفاع كلمة التقديم وأشارت اليها وإلى أهميتها كما نشرت بقية الجرائد العربية مقتطفات من هـذه الكلمة . ومن تلك اللحظة شعرت بأن صلاتى مع الجرائد العربية فى فلسطين قد دخلت عهداً جديداً من الثقة والتفاهم والتعاون . وأحاطنى الكثير من أهل الرأى بتشجيعهم وعطفهم.

وانى أنقل للقارى بعض ما جاء فى مقدمة هذه الكلمة لأنها من أثمن ما اعتز به فى حياتى :

قلت : لقد جاء الاسلام بدعوة عالمية ، نشرت بين الناس دينا وتعاليم وأفكارا ، جاء بدعوة نفخت فيهـــم روحا جديدة ، جعلتهم يلتمسون صلاح آخرتهم باصلاح دنياهم ، حينما أخذوا يتطلعون إلى حياة أرقى مما كانوا فيها ، حياة يطمئن اليها العقل ويرتاح اليها الايمان .

ولم تمض غير سنوات قليلة على أتباع هذه الدعوة وأنصارها، حتى أصبحوا قوة هائلة أخذت تفرض نفسها على جزء كبير من العالم المعروف وقتئذ .

فأثرت فى حركته وسيره وتطوره ، وبرزت قوة الاسلام فى تاريخ الانسانية واضحة ظاهرة لا يمكن اخفاؤها أو التقليل من شأنها .

ومنذ ذلك التاريخ لفتت هذه الدعوة الانظار، وأخذ الباحثون ينقبون عن منشأ هذه الحركة ، ويتعرفون أسباب نجاحها وانتشارها ومدى أثرها وسر بقائها إلى اليوم .

« والاسلام ككل حركة عالمية ، انقسم الناس فى الحكم عليه إلى فريقين : فريق يشمل أصدقاءه وأتباعه وأنصاره ومن أراد انصافه من غير أهله . والفريق الآخر يجمع الخصوم والأعداء أو الذين لم يجدوا فى أنفسهم ، ما يدفعهم إلى التعرف على محاسنه أو الاقرار ببراءته » .

« فمن أولى البديهيات أن نعمل على أن يتعرف غير المسلمين حقيقة هذه الدعوة ومراميها وأهدافها وما أحدثته هذه الرسالة من نتائج » .

« ومن أحق من أهله أن يحدث الناس عنه ؟ وأن يظهروا محاسنه ؟ وأن يزيلوا ما علق خطأ بأذهان الناس عنه ؟ نتيجة دعاية الافتراء عليه والتسليم بعدم انصافه .

لهذا كله لبيت هذه الدعوة ، وكان أمامى ثلاثة دوافع لو جاء واحد منها على انفراد لكان وحده كافيا للتشجيع إلى اجابتها من غير تردد أو توقف :

أولها ـ واجب الرجل المؤمن الذى لا يخشى إلا الله فى عمله وتصرفاته .

ثانيها ـ مكانة الأستاذ المحاضر ومقامه العلمى وثقتنا فيه.

ثالثها ـ ما أظهرته الجمعية بدعوتها لنا من التقدير للاسلام كدين من الأديان الكبرى ، فضربت لنا كما قلت مثلا لحرية الفكر وأظهرت نية طيبة ، ان أوسعت لنا صدرها لانصاف الاسلام فى دارها فيجب علينا أن نقابل هذه النية وأن نلبيها »

وأظن اننى قد عرضت بهذه المقدمة إلى أهم ما يدور بخلد كل فرد مسلم منصف ، وهنا رأيت ألا أتأخر بعد حديثى عن الاسلام أن أشير إلى تأكيد العلاقة القائمة بين مصر والأقطار العربية وفلسطين بصفة خاصة فأوضحت ما يجول بخاطرى بالكلمة الآتية :

لست بحاجة إلى تقديم الأستاذ إليكم ، فهو رجل معروف بعلمه وثقافته فى الأقطار العربية ؛ إذ هو فى طليعة المجاهدين فى خدمة الأدب العربى وبعثه . ولقد سبقته شهرته إلى هذه البلاد ككاتب ومؤلف وأستاذ فهو ليس إذن بحاجة إلى التعريف والتقديم »

« بل أقول أكثر من هذا : انى لا أشك لحظة واحدة بأن فى هذا الجمع كثيرين فى استطاعتهم أن يحدثونا عن علم الأستاذ وأثره ومؤلفاته بأسلوب وبيان أعجز عنهما » .

« ومع هذا فانى نظرت إلى هذا الحفل فاذا هو مكون من خيرة أفاضل الناس فى قطر عربى عزيز على قلب كل مصرى ، لأن أهله باختلاف نزعاتهم وأديانهم تربطهم بنا روابط لا انفصام لهـــا ولكن أعلاها وأسماها مع الزمن وحدة اللغة والتفكير والثقافة . لهذا شعرت بأننى لن أكون غريبا هنا. بل أننى سأجد بينكم ما يشجعنى على إلقاء هذه الكلمة وأنا واثق من أن شعوركم

معى وانه سيشفع لديكم إذا اختصرت فى ناحية أو تلعثم لسانى أمامكم مرة ومرتين . فالأستاذ أحمد أمين لا أقدمه كأستاذ مصرى فأعده ملكا للكنانة وحدها ، بل أقدمه إليكم كأديب عربى أدبه وعلمه من حق الناطقين بالعربية كافة . وأقول لكم إن ما أحرزه من نجاح وتوفيق نعده نحن معاشر المصريين نجاحا وتوفيقا للأدب العربى ونصراً للثقافة التى تجمعنا بكم وللفكر العربى الذى نشترك فيه ونتحدر منه ونعتز به ، وفى هذا أيها السادة ما يثبت أقدامى أمامكم ويجعلنى مطمئنا من أن الأستاذ المحاضر سيلقى من ترحيبكم ومودتكم فى القدس ما سبق أن أحيط به من ترحيب ومودة فى كل قاعة ألقى محاضرة فيها » .

ولقد كان يوسى أن أقف عند هذه الخاتمة لولا انى أردت أن أشير إلى مكانة فلسطين وما كنت أنتظره لها من مستقبل وما كانت تحيط بنا من غيوم متلبدة وقتئذ ، فأردت أن أتحدث عما يجول بأنفسنا من رغبة فى دفع موجة التشاؤم التى كانت سائدة وقلت ما يأتى :

« فى هذه البلاد المضيافة ، وعلى أرضها المقدسة للأديان المنزلة جميعاً : هنا حيث استلم الشرق هداية العالم يوما ما حينما ظهرت إلى العالم تعاليم معلم الناصرة عيسى بن مريم منذ ألفى عام؛ هنا حيث ينظر أتباع الديانات الكبرى إلى قدسية هذا المكان، هنا يحدثنا الأستاذ بحرية تامة عن الاسلام وأثره فى وقت كثر فيه عدد المتشائمين الذين يشكون فى عظمة هذا الشرق ومستقبله — أولئك الذين لم يلمسوا إلا آثار الجمود والتسليم ومظاهر الضعف والفقر البادية فى كل مكان فكأنهم لم يروا إلا ظلمات بعضها فوق بعض » .

« اننا نقول لهم كذلك كانت السنوات والعصور التى سبقت دعوة الاسلام كانت لياليها ظلماء لا أثر لنور الأمل فيها ، وكانت عوامل الفناء والتفكك تعمل فى كل مكان ، حتى لقد كان يخيل إلى من عاشوا فى القرن السادس الميلادى أن الشعوب الشرقية التى ورثت مدنيات مصر وقرطاجنة وآشور وبابل وفينيقيا ، قد شاخت وهرمت وفقدت شخصيتها وميزاتها وقوتها الدافعة فأصبحت فريسة مدنيات أقوى منها من صنع روما وبيزنطة ، ولكن هذه الشعوب نفسها التى غلبت على أمرها تراها وقد استحالت مرة واحدة ثمة فتية فكأنها بعثت بعثاً ونشرت نشراً . والفضل فى نهضتها لتعاليم الاسلام حين تحرر الشرق من جبروت روما وخرج للعالم بشخصيته واستقلاله الفكرى للعمل مرة أخرى كقوة عظيمة تزحف على العالم وتؤثر فى حركته وتاريخه وسيره وتطوره » .

« وها نحن اليوم نعانى نفس ما عاناه أسلافنا ، فهل لنا أن ننظر إلى ماضينا ، وإلى تلك دروسه لنتخذ من ذلك دعامة للمستقبل ولنتعرف القوى الكامنة فينا ليكتب لها الانطلاق والخلود؟ »

« على أى أساس اخترنا النهضتنا سواء كان ذلك فى نطاق القومية أو العالمية فاننا فى حاجة إلى بعث جديد وقوة معنوية تحركنا للعمل للوصول إلى حياة أعلى وأكمل وأعظم شأنا من ظروف الحياة التى نعيشها فى الوقت الحاضر » .

« اننا إذا أكتشفنا هذه القوى الكامنة فينا وعملنا على تركيزها وتنظيمها نكون جديرين بحمل الأمانة التى حملها الشرق من قبل وتسلم رسالته الخالدة ، ويصبح الشرق جزءاً هاماً واعياً مكملاً للانسانية المتنبهة المتيقظة العاملة فى بناء صرح مستقبل هذا العالم » .

هذه بعض فقرات من حديث تلك الليلة وهو حديث — كما قلت — تفضل رجال الفكر فى فلسطين بالترحيب به ، ونشرته أغلب الجرائد وأشارت إليه . ولقد كنت أود أن يشير حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد أمين بك إلى اشتراك القنصلية الملكية المصرية العامة فى القدس معه فى هذا الموقف الذى قال عنه « أنه كان عجيباحقاً مربكاحقاً » . فقد قرأت كتابه المعنون باسم « حياتى » ولفت نظرى صديق عزيز على هو الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلى حادث القدس وكيف أفرد له الأستاذ ثلاث صفحات من كتابه فلم يذكر كلمة واحدة عن الذين شاركوه فى هذا الموقف الذى كان فيه من العناء الشيء الكثير على حسب تعبيره . ولذا رأيت من واجبى أن أنشر هذه الصفحة المطوية ولا أجد ما أقوله سوى اننى وغيرى ممن ألقى عليهم واجب تمثيل مصر فى تلك الفترة لقوا فى أثناء قيامهم بواجباتهم الكثير من هذه المواقف : أذكر واحدا منها حينما أقمت حفلة للاستاذ اسد رستم بمناسبة اخراجه أول مجلد من كتاب « وثائق الشام » وكيف حملت بعض الجرائد على حملة مثل هذه فكان للقنصلية الملكية المصرية العامة ببيروت موقفا يشبه موقف فى القدس .

أحمد رمزى
مراقب عام مصلحة التشريع التجارى والملكية الصناعية

سيرة عالم

للدكتور سامي الدهان

كان عامة الجمهور في « حلب » يعجبون لهذا الرجل الغريب، يحدونه عند كل حجر عتيق من أحجار المدينة ، يتسلق الصخر، ويعلو الجدران القديمة ، والأسوار المنهدمة ، وبيده ورقة وقلم ، يخط سطوراً ويمحو سطوراً، لا يبالي بالهامس حين يمر أو الساخر حين يتحدث ، فالناس عندنا لم يألفوا من يصاحب الصخر يومه، ويتحدث إليه ساعات من نهار ، يستنطقه عن الماضي القديم ، ويستخبره عن الأجيال السالفة .

وكان منظر الرجل يثير كذلك دعابة حينا ودهشة حيناً آخر، فقد أرسل لحيته ، ولبس البسيط من الثياب ، وجلس جلسة ابن البلد إلى الحجر والتراب ، يقتلع العشب عن الحجر ، ويمسح عنه الغبار ، كأنه ضحيح ينقش في ثناياه عن كنز مدفون وثروة مخبوءة. على أن الناس يمرون بهذا الصخر والحجر عشرات المرات لا يبالون ولا يأبهون ، فقد ألفوا أن يروا في سبيلهم كتابات عريضة لم يحاولوا أن يقرءوها ، وتواريخ مسطورة لم يجربوا أن يفهموها ، ومالنا ولهذا الجنون الأوربي إذ يكلف بالغريب ويعكف على العجيب ؟

وكان الرجل على ذلك كله ماضياً في عمله لا يهمه تهامس الناس حوله، ولا تثنيه نظراتهم الريبة وشكهم الملح، فهم يرمونه بالجهل إذ يضيع أيامه بما لا ينفع الحياة ولا يجلب المال .

وطال على ذلك سنين انتهى بعدها إلى كتاب صغير نشره بالفرنسية صور فيه الأبنية الأثرية ، ورسم مصوراً لهذه الأبنية ، وخلص إلى نظرية جديدة هزت المستشرقين طرباً ، فقد وقفوا على صورة « حلب » كما كانت قبل ألف عام ، أو تزيد ، وحدد أماكن الجدران والأسوار من هذا الصور . وبين مواقع المساجد والجوامع والتكايا ، وكأنه قد بنى المدينة على الورق من جديد ، ولم يبق إلا أن يرسم هؤلاء الذين عاشوا بين جدرانها تتقلب عليهم الحروب ، وتهزم الغزوات ، وأن يعين أماكنهم وحاراتهم .

وعرف المؤرخون الغربيون عن حلب ما لم يكونوا يعلمون؛ فقد رسم لهم المستشرق « جان سوفاجه » مواقع المعارك التي دارت خلف الأسوار ، وصور لهم بلاط الحمدانيين والمرداسيين والأيوبيين والأتراك .

واشتركت مصر في تعريف هذا الجهد ! فنشرت للرجل في مجموعاتها ما عثر عليه من كتابات ، ونشرت إلى جانبها الترجمة الفرنسية والتعليقات العلمية . وتنبه المؤرخون كذلك إلى ما تحويه حلب في حاضرها من بناء قديم يرى المستشرق أنه أقدم ما بقي في سورية من الآثار، حتى انه اكتشف على أحد جدران المباني كتابة هيروغليفية يعود تاريخها إلى ألفي سنة سلفت .

ولم يقف عند هذا حتى كتب رسالة للدكتوراه درس فيها تطور البناء في حلب على مدى الأجيال . فعرض للمدينة في عهد اليونان والرومان والعرب ؛ وتوجت هذه الرسالة بكثير من الثناء ، وهتف المستشرقون للدارس الباحث ، وقد قضى شطراً من عمره في بلاد الشام يتقرب إلى تاريخه ، ويتفهم ماضيه العمراني . ونشرت الرسالة في جزءين كبيرين أولهما في دراسة هذه المدينة والثاني في الصورات والصور التي تتحدث — على عادة الغربيين — عن ماض قديم قربه الرجل أوفر ما يستطيع عالم أن يفعل .

ولما سكن سوفاجه دمشق كتب كذلك عن ابنيتها وحاول أن يصنع لها ما يصنع لشقيقتها حلب ، ونشر بحثاً وبحوثاً عن الأبنية في دمشق على عهد الأيوبيين .

وتابع دراساته ، وواصل نشر كتبه حتى بلغت العشرين ، فنقل من الربوع التي أحبها ، وعاش بين جدرانها ، إلى باريس وعين أستاذاً في « الكوليج دفرانس » وهي مرتبة لا يبلغها إلا الصابرون المجاهدون من العلماء في فرنسة وعين كذلك مديراً للدراسات العليا في التاريخ الإسلامي بالسوربون . ولم تحبسه محاضراته وواجباته الجامعية عن متابعة التأليف والترجمة، فنشر كتاباً بالفرنسية يعد أقوى مرجع في التعرف إلى « مصادر

في الصـــــداقة والصديق

الدكتور أحمد فؤاد الاهواني

وقع الخضر في كشكوله من (الرسالة) يقول إنه لاحظ أنني كلما أخرجت كتابا كتب عنه الأستاذ عبد الغني حسن ، وأن العكس صحيح ، يريد أنه كلما أخرج كتابا أو ديوانا كتبت عنه . والتوقيع على إيجازه وإن كان صحيحا يحمل معنى التعجب ، أو هو خبر ينطوي على استفهام، وإشارة تحتاج إلى تفسير وبيان.

وبيان هذا التبادل أنه دليل على الصداقة أو هو آية الأخوة . ولكاتب التوقيع أن يعجب في زمن أصبحت فيه الصداقة أندر من الكبريت الأحمر ، فإذا رأى أحد شخصين قد ائتلف قلباهما على المحبة ، وقامت العلاقة بينهما على المودة ، لفت ذلك نظره لغرابته وشذوذه ، ربعده عن المألوف ، وانفراده من التعارف الشائع المعروف . ولقد حكى القدماء من الحكماء أن المستحيلات ثلاثة : الغول والعنقاء والخل الوفي . فإذا كان الخلان الأوفياء قد عز وجودهم في قديم الزمان ، فوجودهم أعز اليوم وأندر ، مع فساد الزمان، وانتشار موجة المادية، والتمسك بأسباب الدنيا ومتاعها وزينتها ومنافعها .

فإذا عثر الإنسان على الصديق كان كالذي اهتدى إلى المستحيل وعثر على كنز ثمين . وقد قوموا الناس بالمال ، فوزنوا مهراجا الهند ، وقدموا المهور إلى الحسان ، ولكن الصديق الحق إذا أخلص وبرئ عن المصلحة ، كان أثمن من الذهب فلا يقومه مال ولو عد باللايين . وللعامة من الناس تشبيه مادي طريف ، هم يقسمون الناس أناسا ، ذهبا وفضة ونحاسا ، أما الإنسان الذي كالذهب فكلما عبر سنوات الزمان زاد جوهره ولم تنقص نفاسته ولم يذهب بريقه أو ينطفئ رونقه . وأما الإنسان الذي كالنحاس فإنه يخدعك بمنظره وهو المدن الخسيس تطليه فلا يلبث أن يصدأ ، وتجلوه فيأبى الجلاء ويعود إلى الانطفاء ، فإذا اتخذت من هذا الصنف صديقا خدعك ببريقه وغشك بمنظره . باطنه على خلاف ظاهره ، وباطنه هو الذي يدفع إلى الانطفاء والصدأ ، وهذا هو جوهره لا يستطيع عنه حولا، أو تحيزته لا يستطيع لها تبديلا. ولذلك كان العثور على الصديق الصادق عسير المنال لقلة الذهب وكثرة النحاس، والناس كذلك منهم النفيس ومنهم الخسيس .

والصديق الذي كالذهب تعتز بصحبته ، وينفعك في محنتك ، ويقبل عليك في وقت شدتك ، ثم تأمن إلى جانبه وتركن إلى معونته ، وتفضي إليه بجملة نفسك وأنت مطمئن إلى حفظ السر وحمل الأمانة ، فإذا برئت النفوس من المنافع ، وتخلصت من

التاريخ الإسلامي » ذكر فيه الكتب العربية والغربية المخطوطة والمطبوعة التي تبحث في تاريخ الاسلام . ثم نشر كتاباً عن أخبار الصين والهند بالعربية وترجمه إلى الفرنسية . وأرسل إلى المطبعة منذ شهور ترجمة لأحد مؤرخي حلب في القديم. والكتاب ما يزال في سبيله إلى النور ، بينما كان مترجمه يقاسي غصص الموت ويتوجه إلى الخلود .

وكأني بالعالم المؤرخ - وهو يبلغ الخمسين من عمره - قد أنهكه الدرس وحطمه الجهد ، وأخذت منه المؤلفات ما أخذت من عباقرة الباحثين فنال منه المرض ، ولم يثنه نصح الأطباء ورفق الأصدقاء حتى اختطفه الموت وهو يترجم ويصحح كتبه عن الشام والمسلمين ، فقضى « وملازم المطبعة » بين يديه وترجمة التاريخ الاسلامي تحت وسادته ، وأغمض عينيه على منظر الشام الذي صنع بزين غرفته وهو أشد ما يكون اطمئناناً إلى أنه مات بعد أن قضى للربوع التي أحب ماوجب ، وللتاريخ الذي عشق ما استطاع .

فبكاه أصدقاؤه الذين عرفوا فيه التسامح والاخلاص ، وبكاه طلابه الذين رأوا فيه دماثة الخلق وتواضع العلم وتفاني الأستاذ. ولاشك في أن حلب الشهباء ستجزيه أحر ما عمل ، وتفيد من درسه ، وتقتبس من بحثه، فتكمل ما لم يكمل من نص ، وتنشر ما لم يتم من مخطوط . ولاشك في أن المؤرخين والباحثين عندنا سيجدون في سيرته سيرة تحتذى وأسلوباً يقتفى وطريقة تتبع .

القاهرة — الدكتور سامي الدهان

الأطماع وتجردت عن الأهواء ثم آثرت الإيثار ، اتصلت النفوس وائتلفت الأرواح ، وهذه هي الصداقة في أعلى مراتبها ، وأفضل صورها ، وما ينبغي أن تكون عليه .

والصداقة فضيلة تأمر بها الأخلاق وتحث على توثيقها . وأفضل الأخلاق ما طلب صاحبها الفضائل لذاتها ، ولأنها واجبة في نفسها كما ذهب إلى ذلك كانط الفيلسوف الألماني . فنحن نعمل الفضائل طلبا للمنفعة أو اللذة أو السعادة ، وبذلك تخضع الفضيلة لغاية أخرى فينصرف المرء إلى تحقيق هذه الغاية ولو امتطى ظهر الرذائل وصورها في صور الفضائل . لذلك ينبغي أن تطلب الصداقة لذاتها ، وحينئذ يحس المرء بلذتها .

والصداقة من أقوى الروابط التي يقوم عليها دعامة المجتمع ، فإذا شاعت في أمة تماسكت ، ثم قويت لتماسكها ، ثم علا شأنها لقوتها ، فتصدرت سائر الأمم لعلو شأنها والاعتراف بمنزلتها . وكان هذا هو حال الأمة الإسلامية في بدء نشأتها . وأنت تعلم أن الدعوة الإسلامية قامت على اثنين من الرجال ، النبي عليه السلام ، وأبي بكر ، الذي سمي لصدق صداقته وفرط تصديقه بالصديق دلالة على المبالغة ، فقالوا أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه . وإذا أطلعت على سير الرجال من أهل الإسلام في عزه وعنفوانه ، وفي أوجه وعلمه وسلطانه ، يوم أن كانت أوربا تعيش على علوم الشرق وتغترف من عمرانه ، رأيت أن الروابط بينهم قامت على الصداقة ، وعلى التفاني والوفاء ، وعلى الإخلاص والإيثار ، والإيثار أعلى مراتب الصداقة . حكت كتب القدماء أن عشرة من المسلمين وقعوا جرحى في قتال في إحدى الغزوات ، وكانت مع أحدهم شربة ماء لا تكفي إلا واحداً لتهبه الحياة ، فآثر بها صاحبه ومات ، وآثر بها الثاني صاحبه ومات ، وهكذا حتى مات الجميع .

ونحن نرى أن الجماعة تحتاج إلى رابط يربط ما بين أفرادها ، وليست هذه الروابط مادية يمكن أن ترى ، فليس هناك حبل يربط بين فلان وفلان ، ولو كانت الروابط حبالا لتقطعت وبقيت الصداقات الصادقة لأنها أوثق ، ثم لا تبلى مع مرور الزمان بل تقوى على الأيام .

ومن المشاهد أن الشرق منحل الأواصر ، كثير التنابذ ، يشيع الحسد بين الناس ، وتشتد العداوات الشخصية حتى لتشغل أوقات الناس وتصرفهم عن المصالح العامة . وهذه هي أخلاق الجاهلية الأولى التي جاء الإسلام ليحل محلها المودة والسلام

والصداقة والعداوة مما ينشأ مع الطفولة ، ويبث بالتربية ، ويعالج بالتهذيب والصداقة التي ترتفع إلى منزلة الأخوة تظهر في الأسرة بين الأشقاء ، وتظهر في المدرسة بين الأنداد ، ولكننا في مصر قد أهملنا التربية فتركنا الحبل على الغارب ، أو سلمنا الأمر لله ، مع أن الله قد أودع فينا العقل للتمييز . وقد أثبت مذهب التحليل النفساني أن الأحوال النفسية التي تصاحب الناس في كبرهم تمتد جذورها إلى زمن الطفولة الأولى . والصغار في بيوتنا في شقاء لجهل الآباء والأمهات بأصول التربية وأسرار النفس ، فهم يمنعون الطفل من اللعب ، ويحسبونه في البيت ، ويكثرون من ضربه وإيذائه وانتهاره فينشأ على الحقد والبغضاء ، ثم يغرون الأخ بأخيه ، ويفضلون الشقيق على شقيقه فيظهر في أنفسهم الحسد وهو شر ما يبلى به الإنسان ، وهو آفة الصداقة

المدرسة المصرية دار تحضر الطالب للامتحان والحصول على الشهادة وليست المجتمع المثالي الصالح الذي يؤلف بين القلوب ، ويقوم فيه التعليم على المشاركة والتعاون بين التلاميذ . وقد سمعنا عن طلبة يأبون إعطاء مذكراتهم لزملائهم نفاسة وحسدا وانفراداً بالامتياز ، فكيف ترتقب من المدرسة أن تنشىء جيلا من الأصدقاء وهذه حالها ؟ وكيف تزعم أن الروابط بين أفراد الشعب وثيقة مع انعدام الصداقات ؟

أحمد فؤاد الأهواني

تاريخ الأدب العربي

أحمد حسن الزيات

يؤرخ الأدب العربي من عصر الجاهلية
العصر بأسلوب قوي ، ومستيعاب موجز وتحليل مفصل
واختيار موفق ومقارنة بين الأدب العربي والآداب الأخرى
طبع اثني عشرة مرة في ٥٢٥ صفحة
وثمنه أربعون قرشا عدا أجرة البريد

العقل . . .

للأستاذ محمد محمود زيتون

ما أكثر ما يعرف الإنسان ! ولكن ما أقل ما يعرف عن نفسه . ولعل حكمة سقراط «اعرف نفسك بنفسك» لم تتغلغل في الأ[illegible] كما كان ينبغي [illegible] مع أن معرفة الإنسان تبدأ بما حوله ، ثم تنتهي به إلى نفسه ، فمعنى ذلك أن الإنسان لا يفرغ بعد من معرفته الخارجية حتى يخلص لمعرفته الداخلية . فالحياة تنمو وتتسع ، وتستطيل وتستعرض ، وما يزال هو هو المتعجب من أحوالها . ومهما يكن من تقلبات الحياة ، فإنه لابد له من أن يعرف نفسه ليتابع سير القوافل الإنسانية تخب في صحراء الزمان متعبة كليلة . . إذن ليعرف الإنسان نفسه بنفسه .

حقا لقد شغلت الإنسان حياته ، فعرف منها ما عرف ، وأبقى ما لم يكن يعرف حتى آن له أن يعرف ، وظل مرتبطا بهذه الحياة ينمو معها وتنمو معه ، تعلمه وتعمل له ، وهو بدوره يعلمها ويعمل لها ، غير أنها كانت قبله شيئا آخر غير ما صارت إليه ، بعد أن ملكته عليها طوعا أو كرها ، فقد كانت فوضى لا تجاوب ولا انسجام . غابات ودياج ، صواعق وجبال ، أمواج وأمطار ، كلها رهيب ، وكلها غريب . وهل حياة مع الغربة والرهبة؟ وهل حياة مع الوحشة والفوضى ؟ لابد إذن من « عقل » يؤلف بين هذه الكائنات أحياء وأمواتا . لابد من عقل يتفهم غايتها ورسالتها . لابد من عقل للحياة . لابد من « إنسان » .

شرف الإنسان يوم أصبح عقل الحياة ، وازداد شرفا يوم صار عقلا لنفسه ، وإذن فقد مر بتاريخ طويل عريض ، وتاريخ الحياة جزء من الحياة . مرت الإنسانية في نظر « كونت Conte » بمراحل ثلاث : اللاهوتية ، والميتافيزيقية ، والعلمية . وهذا التطور — وإن كان غير صحيح إلا أنه غير باطل ، لأن اللاهوتية والميتافيزيقية والعلمية مظاهر تبدى فيها العقل الإنساني حينا وأحيانا ، ومظاهر الإنسانية لا تحصى ، إذ لم يكن العقل من زجاج حتى يحطمه التفكير العنيف ، بل لم نعهد فيه الوقوف إزاء الحواجز والموانع مياغرا راهبا . وإنما اعتد بنفسه ، وكان لابد له من هذا الاعتداد ليكون عقلا . ولكن تفاوتت درجة الاعتداد بالذات فهبط إلى حد التواضع والتوقف عن العمل والعلم في ثوبي التصوف والشك وبلغ هذا الاعتداد حد الاعتداء على الذات كما عند نيتشه . وابتغى العقل أحيانا طريقا وسطا بين هذين الطرفين .

فلنحاول الوقوف على شتى أنظار الإنسان إلى العقل ، ومدى ما وصلت إليه الدوائر الفكرية من تحديد نطاقه . . سواء في ذلك الفلاسفة والمناطقة ، ورجال الدين والمتصوفة . والأخلاقيون ورجال الاجتماع والسياسة ، وعلماء النفس والحياة ، وأصحاب الرياضة والطبيعة وأهل الفن .

أما الفلاسفة فقد تناولوا أعمال العقل ، وتأملوا الإحساس كأول مظهر لهذه الأعمال يقول هرقليطس : « الحمار يفضل العاف على الذهب . والكلب يفضل كل ما لا يعرفه » فما سبب هذا ؟ السبب هو أن الحواس شهود غير عدول حينما تعمل في النفوس غير العاقلة ، فلا يستطيع الحيوان أن يميز بين المحسوس والمعقول لأنه ليس مزودا بما به يستطيع ذلك .

والإنسان — في بدء حياته — لم يكن يستطيع هذا التمييز ، لأنه امتزج بالحياة امتزاجا كليا انتهى به إلى التوحيد بين الموجود والفكر توحيدا تاما . فهو صورة للحياة ، والحياة صورة له . أو كما يقول « فردريك رتزل Fredrich Ratzel الإنسان روح في الطبيعة ، والطبيعة روح في الإنسان : « Man is a spirit in nature and nature is a spirit in man » .

وأنبا ذوقليس يفسر الإحساس بأنه تقابل الأشياء ، وإدراك الشبيه للشبيه . ويقول إن مركز الفكر هو القلب ، وقد سبقه ألفميون زعيم مدرسة أقروطونا الطبية في صقلية بأن المخ مركز الفكر .

وعلى العموم فإن أنبادوقليس وديمقريطس وأنكاغوراس كانت عندهم المعرفة العقلية هي الحسية ، وهم إن ميزوا بين العقل والحس فإنما كان هذا من حيث محتوياب كل منهما إذ كلاهما وظيفة عضوية

وكانت تلك أول خطوة نقدية خطاها اللاهوتيون والطبيعيون القدامى نحو المعرفة العقلية أعقبتها موجة السفسطائيين الذين أدوا للعقل أكبر خدمة كان سقراط أول وارث لها .

اتجه سقراط نحو العقل فى ذاته بقصد الكشف عن شرائط المعرفة الحقيقية : دعا إلى أن يعرف الإنسان نفسه بنفسه ، بأن يكتشف من معرفته بنفسه جهله بها ، ذلك الجهل الحافز على الفكر والذى ينتهى إلى العلم بخصائص العقل الرئيسية التى هى التعريف والاستقراء . ولما كان الحق هو الخير وكلاهما فى العقل أو هما العقل فإن العلم فضيلة ، والجهل رذيلة .

وتبنى أفلاطون نظرية أستاذه فى فطرية المعرفة ، وقال بوجود معرفة لأهل الكهف كانت لهم قبل ان تنشى عيونهم بنور الشمس رمز الحق والخير والجمال . ولن تزكو النفس إلا بتذكر ماضيها المجيد ، ولن تبلغ سموها بالعلوم التجريبية البالية وإنما بالحساب والموسيقى والهندسة والفلك تتيقظ على عالم المثل الباقية الخالدة والتى هى أسباب المعرفة والوجود جميعا ، والتى تذكرها علم ، ونسيانها جهل . ويقول فى « فيدروس » Phédre « وعندما تعجز النفس عن طلب الحق وتفشل فى الحصول عليه ، يسقط منها الجناحان ، وتهوى إلى الأرض . . أما النفس التى لم تر الحق قبلا فلن تأخذ الصورة البشرية ، لأنه لابد للانسان من معرفة بالكليات وقدرة على الانتقال من الجزئيات الحسية إلى المعنى العقلى ، وذلك هو استجماع هذه الأشياء التى كانت النفس قد رأتها من قبل فى سبيلها إلى الله عندما رفعت رأسها تستشرف الوجود الحق » .

لم يستطع أفلاطون أن يتعرف خصائص العقل فى ذاته ، فولى وجهه شطر مصدره الأسمى وهو الله مثال المثل . وإن كان فى طريق النفس إلى المثل ساعدة ومنها نازلة قد رسم أفلاطون سبيل الخلاص بالتزكية النفسية وهو سبيل إن كان حظ الحقيقة فيه أقل من حظ المثل إلا أن المثال نفسه من خلق العقل وابتكاره .

أما أرسطو فقد نظر إلى العقل من عدة جوانب ، وقل أن يخلو كتاب له من نظرة فى العقل . فعنده العقل المنطقى فى « البرهان » ، والعقل الأخلاقى فى « الأخلاق » والعقل الاجتماعى فى « السياسة » والعقل السيكولوجى فى « النفس » ، والعقل من حيث هو عقل فى « الميتافيزيقيا » حيث قسمه إلى أربعة : عقل بالقوة ، عقل بالفعل ، عقل مستفاد ، عقل فعال . وسار بنظرية العقل حتى وصل بها إلى الله « عقل العقل » الذى يتأمل ذاته لأنها أشرف ذات . وشرف العقل إنما جاء من شرف موضوع لعقله ، والموجودات تنزع إلى كمالها بالاشتياق إلى الله . وبذلك تفادى أرسطو مشكلة ، كيف يتصل اللاحسى بالحسى ؟

وبهذا المجهود العنيف كان أرسطو جديرا بأن يخلع عليه لقب « العقل » أو « عقل المدرسة » . ويكفى فى هذا المقام أن نشير إلى تطور فكرة العقل الأرسطاطاليسى عند تلاميذ أرسطو وشراحه وأنصاره وخصومه من المسلمين وغيرهم فى القديم والوسيط والحديث . وذلك لاختلاف الأنظار فى فهم عقل أرسطو اختلافا لم نشهد له مثيلا فى تاريخ المسائل الفلسفية .

ولقد اطرد التيار الأرسطاطاليسى الواقعى ، وإلى جانبه التيار الأفلاطونى المثالى ، وتراوح المفكرون بينهما ، فمن جانب أفلاطون انحاز إلى أرسطو ، ومن جانب أرسطو انحاز إلى أفلاطون .

وتبلبلت الأفكار فى عصر السفارطة الصغار كرد فعل للحياة ومستلزماتها حتى لقد خلط إقليدس الميغارى بين الله والعناية والعقل وكلها أسماء للخير عنده . وظهر العقل عند الرواقمية فى ثوب أخلاقى : إذ العقل هو أكمل الطرق لتحقيق أسمى الغايات ، وبالعقل يدرك الحكيم أنه جزء من الطبيعة الكلية ، والله عندهم هو « العقل » منبثا فى العالم ، هو روحه المادية اللطيفة ، وعليه تتوقف الغائية والضرورة المطلقة وقوانين الواجب .

أما الأبيقوريون فقد تحرروا من كل عقل ، وانهمكوا فى الملذات دون وعى بواجب أو قانون ، وانحدرت المثالية الواقعية جنبا إلى جنب نحو الأفلاطونية الحديثة ، وفيها لم يختلف مالأفلاطون ومالأرسطو . فالعقل والمعقول شىء واحد ، والعقل هو التفكير صار فعلا محضا ، وكما ينطوى العقل على عدد من المثل كذلك « النفس الكلية » تنطوى على عدد من النفوس الفردية تهبط إلى الأجسام « كما لو كان صوت مناديلها » ولكنها فى هبوطها قد تذكر مرورها فى حال أصلها ، ناسية أباها الذى فى السماء ، وهى إن خرجت من الجسد لتعود إلى الله لانفصلها قط عن النفس الكلية ، مقامها دائما فى العقل ، ولترجع النفس إلى الله يلزمها أن تخرج عن نفسها بالزكاة النفسية والتأمل فى المثل أولا وأخيرا .

وإدمان النظر فى الحياة ، واضطراب ماجرياتها فى الوجدان أدى إلى الشك ؛ فالحواس خادعة ، وليس لدى العقل ضمان للحقيقة واليقين فتوقف الشكاك عن السلب والايجاب وآثروا تعليق

الحكم ، واستمرأوا الخيدة فى السلوك[1] .

وانطوى القديس أوغسطين على نفسه حين أراد أن يعرف ربه ، لا بالفيزيقيا الحقيرة ، وإنما بالوجدان والعلم الباطنى ، فمتى عرف العقل الإنسانى أنه متغير ، وفى الوقت نفسه لو عرف أن لديه فكرة عن الحق الثابت الباقى ، فليس على العقل إلا أن يسمو على نفسه ليرقى إلى منبع كل نور وأصل كل خير ، إلى العقل الذى ينيرنا إلى الله ، وهو المبدأ البارق لكل التقاويم التى يظهر فيها خالقه[2] .

ولابد من الإشارة إلى الجدال العريض الذى دار حول أسبقية الكليات بين الواقعيين والاسميين من فلاسفة المسيحية فى القرون الوسطى . قال « القديس أنسلم » وهو من الواقعيين الأفلاطونيين « الكليات أسبق من الموجودات » UniVersaita anterem وقال « كما أن الفكر هو الواصل بين المرء نفسه ، فكذلك المثل هى الواصلة بين الله وذاته » الله مصدر كل معرفة هو الحق الأسمى الذى يخلق كل حق ، وهو الطيب الذى يمنح كل طيب ، والمطلق الذى منه وحده ندرك النسبى الذى لابد لنا من نماذج سابقة عليه نتمثلها حتى نوازن أو نحكم . وهكذا بإدراك النسبى اتخذ أنسلم برهانا مباشرا على المطلق وهو الله .

وعارض هذه النزعة جماعة الواقعيين الأرسطاليين من أشهرهم « ألبرت الأكبر » و « توماس الأكوينى » و « دنز سكوتس » وقالوا بأن ليس للكليات وجود جوهرى خارج الأشياء ، بل هى — كما يقول أرسطو — لا توجد قبل الأشياء وإنما فى الأشياء Non ante rem, sed inre وبذا لا ينهار القول بالمثال . والقديس « توماس الأكوينى » يميز العقل Ratio والنفس Intellectus التى هى الملكة العليا للمعرفة والحدس ، وإن كان أصلهما فى طبيعة النفس واحدا .

أما الأسميون Nominalistes فقد رفضوا المعانى العامة ، وقالوا بأن العقل ما دام بالقوة فلا يمكن أن يفضى إلى الإيمان . منهم « وليام الأخامى » William of Occam الانجليزى (القرن ١٤) ، وعنده أن العالم فى العقل لا فى الأشياء ، أن ليس للمعانى وجود فى عقل الله ، ولا سبيل إلى المعرفة إلا الحدس بنوعيه الحسى والوجدانى . ولما كان الحق نسبيا وقائما على الحدس الشخصى فليس للعقل إذن وجود مطلقا .

ولقد اهتم فلاسفة الإسلام بنظرية العقل متأخرين ، فتح الباب لهم « الكندى » فى رسالة « معنى العقل عند الأقدمين » وتبعه « الفارابى » فى « مقالة فى معانى العقل » وعالجها « ابن سينا » فى نظرية الصدور أو الفيض ، وكذلك « الغزالى » فى علم كيف رتبها فى هذا الباب « معارج القدس فى معرفة مدارج النفس » وكذلك « ابن رشد » فى « مناهج الأدلة » . وهؤلاء جميعا حولوا عقل أرسطو إلى عقل إسلامى ، جانبه الفلسفى معروف ، أما جانبه الإسلامى فأصله الحديث المروى « أول ما خلق الله العقل ، فقال له : أقبل فأقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، فقال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز إلى منك ، بك أعز وبك أذل ، وبك أعطى وبك أمنع » . وقد ذكر الشهرستانى أن الحايطية — أصحاب أحمد بن حايط المعتزلى — أولوا حديث رؤية الله يوم القيامة بأنه العقل الفعال أو العقل الأول الذى يعنيه الحديث .

(للكلام بقية) محمد محمود زيشوده

(١) راجع الرسالة : مقالتى ٢ و ٣ مارس « نيرون » أبريل سنة ١٩٥٠

(٢) الاعترافات .

اعلان مناقصة

تقبل العطاءات بتفتيش مبانى بحرى القاهرة بالدور العلوى بمبنى وزارة المواصلات لغاية يوم ٢٧-٥-٩٥٠ عن الأعمال الكهربائية لعمل الشبكة الكهربائية لإنارة الشوارع . تغذية المساكن مستعمرة المحاجر بأبى زعبل وثمن المستندات ٣٥٠ مليم والبريد مائة مليم وكل عطاء غير مصحوب بالتأمين المؤقت كاملا بواقع ٢ فى المائة (اثنان فى المائة) من قيمته لا يلتفت إليه بالمرة . وسنقدر فى أمر مقدمه بحرمانه من التعامل مع المصلحة . ٤٧٤٩

من الحياة

الصـــديق الضائع

للاستاذ منصور رجاب الله

كان لى صاحب ما شهدت له نديداً فيما رأيت من الصحاب . كان أكبر الناس فى عينى ، وكان رأس ما أكبره فى عينى أنى ما عرفت عنه غميزة تميل به إلى جانب الغرور ، على ما به من مزايا فاضلة ، وعلى ما كانت تفيض به جوانب نفسه من البصر بفقه والعلم القائم على أساس وطيد ، وعلى ما كان يتدافع فى شرايينه من دم الشباب النضير . وفى كل أولئك حوافز للذهاب بالنفس والتكاثر بالسطوة إلى مدى بعيد .

وكان فى عقدى أن من رأى هذا الصديق نظرة أجله ، ومن خالطه معرفة أحبه . وجدت فيه ما افتقدت فى سائر الصدقان : تواضع على علم ، وحياء فى ورع ، وسذاجة من غير تكلف ، وبساطة تنأى عن التعقيد . وكل أولئك محبب إلى النفس ، وكل أولئك شىء عزيز المنال .

ولازمت خدنى هذا ملازمة شديدة ، توثقت عناصرها على الأيام ، حتى حسب الناس أن لا فكاك لازدواجنا ، وأن أحدنا لا غناء له عن رفيقه ، وكذلك كنا لا نفترق إلا على موعد من لقاء قريب ، فى الإصباح والإمساء ، وإذ كنا متجاورين فى السكنى . لم تفرق بيننا إلا المضاجع ، وما أثقل الساعات التى تتجرم على بعادنا ، وما أطول اللحظات التى تنقضى دون لقائنا .

هنالك بين ربوع الاسكندرية الناعمة ، كنا نساحل على شاطىء البحر الجميل فى أخريات الربيع وفى ذرور الصيف ومطالع الخريف ، وكانت لنا ثم ملاعب ومرابع ، لا يرنق صفاءنا اعتكار ، ولا ينال من عشرتنا لسان ، إذ كان قوامها الإخلاص المتبادل ، وعمادها المودة المشتركة ، ومن ثم كانت أحاديثنا ومسامراتنا لا تنصرف إلا لما يتفشى الناس من أحداث ، وما يتوسمه العالم من حدثان . وكانت آراؤنا فى الحياة — على سذاجتها وسطحيتها — مطبوعة بطابع من الهدوء والبعد عن الاعتساف .

وإذا كنا على سفر ، تواعدنا على اللقاء فى القطار ، ثم تجمعنا الصحبة فى المنزل ، وقد تتقاسم الغرفة الواحدة فى بعض الأحيان ، ونشارك فى الطعام والشراب ، ويمضى منى لشأنى ، كما أحبه لقضاء ما يريد .

* * *

كانت تلك حالنا إلى أن فرقت بيننا تصاريف الزمان ، [illegible] إلى الجزيرة العربية ، ورأيت أنا أتنقل بين القاهرة والاسكندرية . بيد أننا لم نفترق إلا بالجسم فقد اتصل قلبانا وروحانا ، فكنا نتناجى بلغة الأرواح كما كنا نتنادى بلسان البريد ، ثم نتصل وننفصل والأيام لا تزيد علائقنا إلا توثقا واتصالا .

* * *

وإذ قامت علاقتنا على الصدق والإخلاص ، كان لى أن أزجى النصح إلى صديق ، إذا تجانف لإثم أو خيل إلى أنه كذلك ، وأى الناس ترضى سجاياه كلها ، ولقد كان يتقبل منى النصح المبذول لعلمه أن مصدره الإخلاص ، وتلك حالى معه .

وفى إحدى زوراته المتباعدة لى توجهت إليه باستصلاح ما أنكرت منه ، فشهدت منه بوادر الامتعاض على بساطة المؤاخذة مع داعى الإخلاص ، وتظاهر بالقبول بل تظاهر بالرضى والاقتناع .

وكانت تلك هى المرة الأولى رأيت فيها صديقى بظهر غير ما يبطن ، فلم يحاول بعد ذلك أن يلقانى ، وإن كنت سميت إليه — علم الله — مراراً ، إذ عز على أن تهدر صداقتنا بمثل هذه السهولة ، وقد عملت فى تكوينها السنون الطوال ، ورواها الإخلاص رسقتها النزاهة . وكاتبته مراراً أبى أن يتنزل إلى الاجابة على ، فعلمت أنه يروم قطيعتى والازورار عنى ، فأمكنته مما يريد . وفى النفس موجدة حرى ، وفى القلب أسى لا يطاق .

* * *

وبالأمس كنت أسير فى بعض الطريق فلمحت على مبعدة منى رجلاً عرفته غير أنى أنكرته ، عرفت فيه شيئا وأنكرت منه

خواطر مرسلة

النعجة السوداء

للأستاذ حامد بدر

(تلك قصة قصيرة ، سمعتها من رجل قروى فلخصتها فى هذه السطور)

فى مكان ناء عن العمران ، حيث السكون سائد لا يشوبه ضجيج ، والهواء طلق لا يعوقه بناء ، والفضاء رحب لا يحد من سعته شىء ، والقبة الزرقاء تتحدى كل القباب بروعتها وجلالها ، وتفيض على الأرض من خيرها وبرها ، ونورها وظلها ... وفى إغفاءة يقظى ، تنيم النفس أمنا ، وتوقظها إيمانا ، وفى هدأة خالصة مخلصة يرجع فيها من خلق إلى من خلق ، ويستجم العقل المكدود المحدود ... كان أحد الملوك مصطحبا وزيره ابتغاء النزهة الهادئة الطليقة ، المجردة من مظاهر السلطان والجاه . وبينما هما سائران إذا براع يرعى غنما ، وقد افترش من الأرض مكانا خشنا ، مستظلا بصفصافة حانية ، فى جوار قناة جارية ، وبين يديه لقيمات يابسات ، يتناولها فى رضا واطمئنان ، ثم يميل على النمير الجارى ، فيروى ظمأه ويحمد الله . وبعد قليل يخرج من جيبه قصبة تشبه الناى ، ويطلق صفيره فى الفضاء ، فيقطع السكون السائد بلحن حلو طروب ، له فى كل ناحية صدى ، وكأنه يملك الدنيا بأسرها !

تعجب الملك ووزيره لهذا القانع الراضى ، الذى لم يعكر صفوه شىء من أكدار الحياة ، فناداه الملك وسأله : كيف حالك ؟ فقال : كما ترى يا سيدى ، أحمد الله على ما أعطانى من نعمة ، وما وهبنى من عافية . قال الملك : ما أحسن إيمانك ، وما أجمل شكرانك ! ولكن أما يزعجك فى حياتك الهادئة شىء ؟ قال : لا شىء سوى هذه النعجة السوداء ، فكثيرا ما تشذ عن زميلاتها ، وتستعمل قرنيها فى الأذى ، فتقطع غنائى ، وتكدر صفوى ... ! ففكر الملك قليلا ثم قال : طابت حياتك أيها الرجل لولا النعجة السوداء ،

وبعد أن ابتعد عن الراعى رأى الوزير الملك مفكراً ، كأن أمراً شغله ، فقال : أعزك الله يا مولاى ، وجعل السعادة ظلا للملك العزيز ، ليت شعرى ما يشغل بال الملك ؟ أرجو ان يكون خيراً وأومأ الملك شاكرا ، وظل فى تفكيره برهة ثم قال : ماذا تركت فى نفسك هذه النزهة من أثر؟ وهل رأيت فيها شيئا من الغرابة؟ قال الوزير : لا غرابة - يا مولاى - فى جمال النزهة وترويحها وهدوئها ، ولكن الغرابة فى قصة الراعى . لقد دلت الأرض التى افترشها ، واللقيمات التى طعمها ، على الخشونة والشظف . ودل الغناء والصفير على السعادة والسرور ، ودلت النعجة الشاردة على أن السعادة لا تصل إلى حد الكمال ! فعقب الملك على جواب الوزير قائلا: اعلم أيها الوزير ان المال والجاه والقصور والخدائق والخزائن والملك كل هذا لا يثنى النفس عن استلامها اشاغل ما ، ولا يحول بينها وبين هم يشوب سرورها ، أو يطغى عليه ، فلكل أمرى - وان علا - نعجة سوداء !

حامد بدر

أشياء ، عرفت فيه وجهه الذى لا أنساه ، فقد كان وجه صديقى الضائع ، وأنكرت منه طرفا من سلوكه مع الناس ومعاملته لمن كان فى صحبته من الرفقاء ، حتى لقد هممت أن أعانقه وأقبله وأقول له: لقد كان لى صديق وجهه يحاكى وجهك ، ولباسه يشبه لباسك ، وكلامه مثل كلامك ، ولكنه يخالف عنك يا صاحبى فيما عدا ذلك . فمن تكون ؟

ولكننى جبنت دون ذلك ولم أفعل ، وبصرت به يرامقنى شزراً من بعيد ، فبادلته النظرة وانصرفت لطيتى مترحما على ماضى الصديق الضائع !

بعد هذا بسنين ، تلقيت منعاة هذا الصديق ، فما أحسنى تفجعت كما تفجعت لفقده ؛ ولا بكيت مثل ما بكيت لموته . لقد فقدته مرتين : مرة يوم قاطعنى ، ومرة يوم مات عنى ، فكأنه مات ميتتين ، سقى الله جدثه وتداركه برحماته .

منصور جاب الله

منزلة العبقرية الدينية بين العبقريات

للاستاذ محمد خليفة التونسي

يقول الحكيم الهندي رابندرانات تاجور « إن كل طفل يولد دليل على أن الله لم ييأس من الانسانية بعد » .

ولا علينا أن نزيد : « وكل عبقري يلمع دليل ماثل يكشف حكمة الله في عدم يأسه من الإنسانية » .

وما جدوى الانسانية من البقاء ، بل ما جدوى الحياة والطبيعة كلها إذا كان بقاؤنا في ضيقه ورتابته وانحطاطه كبقاء الأرضات في سراديب الأرض المظلمة أو مملكة الظلام كما قال موريس مترلنك الشاعر البلجيكي ؟

وماذا في ميلاد طفل ؟

إنه دليل على تمسك الله بالانسانية ، إذ لم ييأس منها ، وعلى أنها لا تزال أهلا لأن يرفعها باستعدادها لقبول نعمه ، ولكن الحكمة في عدم يأسه منها خافية ، والدليل على استعدادها عنا مستور .

وماذا في نبوغ عبقري ؟

إنه دليل على ذلك كله ، وعلى شيء فوق ذلك كله .

دليل على تمسك الله بالانسانية ، واستعدادها لتقبل ما يفيض عليها من نعمه ، رسلاحها لأن يرفعها إلى أفق أرفع من أفقها الذي هي فيه عن رضا وطواعية ، ودليل أيضا على قبولها نعمه فعلا وتحقق صعودها إلى أفق أعلى راضية طيعة . فحكمة الله في عدم يأسه من الانسانية هنا بينة ، وحجته لنا ظاهرة .

إذا كان ميلاد طفل دليلا على استعداد خفي في الانسانية لنعم الله ، وعلى حكمة خفية علينا في استمساكه بها ، فان نبوغ عبقري دليل على بروز نعمه وحكمته من عالم الأمر إلى عالم الخلق ، أو من عالم الغيب إلى عالم الشهادة بلغة القرآن الكريم ، أو من عالم المثال إلى عالم الحس بلغة أفلاطون ، أو من عالم القوة إلى عالم الفعل بلغة أرسطو ، أو من عالم الفكرة إلى عالم الارادة بلغة شوبنهاور . (١)

وشتان في وجودنا المحدود بين الشيء أملا لم يتحقق ، والشيء نفسه حقيقة ماثلة ، ومهما يتساويا في قدره القادر ، وإبداع المبدع بل في علم العالم أزلا وليسا سواء في وجودنا الزماني الناقص ، وهذا هو ما يعنينا نحن أبناء الزمان الفانين .

نبوغ عبقري دليل على تحقيق بعض الآمال التي ناطها الله بالانسانية ، ورفعه إياها من أفق إلى أفق أعلى وأرحب وأجل ، ونسخها من شكل إلى شكل أصفى وأصدق تمثيلا لقدرته وإبداعه ، وأفصح تعبيرا عن حكمته ، وأشد تحقيقا للقوى الكامنة التي بثها فيها ، وأدنى إلى الغايات التي يجذبها إليها خلال سيرها نحو الكمال المقدور للمخلوقات الفانية في شوقها الى الله .

إن الخلق هو أعظم النعم ولا ريب كيفما كان .

ولكن تمام هذه النعمة لا يتحقق إلا بالامتيازات التي يسبغها الله على من يصطفيهم من مخلوقاته على مقتضى حكمته ، وهو يخلق ما يشاء ويختار . فإذا هؤلاء الممتازون أنس الحياة وجمالها وسموغها ، وحجة الخالق التي يمتحن بها المتكرون ، ويزداد بها المؤمنون إيمانا ويقينا واطمئنانا .

لا يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات والنور .

ولا يستوي الذي لا يعلمون والذين يعلمون .

ولا يستوي الأموات والأحياء

ولا تستوي الانسانية ضالة ضائعة قبل نبوغ العبقري فيها ، والانسانية رشيدة شاعرة بمكانتها بعد نبوغ العبقري .

---

(١) من مقال الكاتب هذه السطور نشر في احدى الصحف اليومية منذ شهور .

وإذا استجابت الانسانية إلى دعوة العبقرى طهرت أرواحا من أكدارها ، وانكسرت عن قواها أغلالها ، وزالت عن أبصارها غشاواتها ، وانسلخت عن قلوبها أركنتها ، فشعرت بالصلات الوثيقة التى تربط كل شيء فيها بكل شيء ، والصلات الوثيقة التى تربطها كلها بالوجود كله من وراء تلك الصلات أو من خلالها ؛ وانطلقت بهدى العبقرية نشيطة فى حياتها ، متدفقة نحو الغاية التى أريدت لها ، عاملة بكل القوى التى بثها الله فيها . وإنها لتعمل رسمها ولو لم تعرف الغاية الصحيحة من وراء عملها لأنها مدفوعة إلى العمل بقوى جبارة تنفجر من أغوار النفس البعيدة فلا سلطان لها عليها ، ولأنها تجد فى العمل لذة اللعب أو الرياضة وجمالها ، وحسبها ذلك من غاية لأعمالها ، ولتكن عندها من وراء ذلك أو لا تكن غاية ظاهرة أو خفية .

تاريخ الانسانية هو تاريخ عباقرتها وآثارهم فيها ، فلو انتزعوا من تاريخها لم يبق لها تاريخ .

تاريخ الانسانية عمل فنى ، عنصر الفن الأصيل فيه وينبوعه هو العبقرية ، ولذلك لا يحسن كتابة تاريخها إلا فنان .

تاريخها صور العبقريات المشرفة ، وانعكاساتها من نفوس الناس .

وتاريخها عزف لأصوات العبقريات وأصدائها فى نفوس الناس .

وما لم يكن نور فلا انعكاس ، وما لم يكن صوت فلا صدى .

ومن لم يشعر بالتاريخ شعور الفنان لم يع من التاريخ حرفاً ، ولو استوعب الزمان والمكان من البدء إلى النهاية . ومن لم يعبر عنه كما يعبر الفنان عن شعوره بما يجيش فى نفسه لا يكتب منه حرفا ، ولو أن ما فى الأرض من شجر وغيره أقلام ، ومياه البحور مداد ، والأرضين والسماوات صحائف يسود وجوهها بجهله وغبائه .

لا يستجيش فى نفس الايمان الكامل الخالص شيء فى الانسانية إلا العبقرية .

ولا يستحوذ على ايمانى كاملا خالصا أحد من الناس إلا العباقرة .

وما ساورنى شك فى أنه لا توجد نفس إنسانية أبدا تخلو كل الخلو من نور العبقرية أصيلا فيها ، وكل الفرق بين العبقرية الشاحبة والعبقرية المطموسة هو الفرق بين نور قوى عظيم يتدفق فى النفس فيجرف السدود والحدود ؛ ويفيض على الجوانب فيظهر ويبهر ، ونور ضعيف ضئيل يبض قطيرة قطيرة فى غور سحيق من وراء سدوده وحدوده المطبقة عليه اطباقا ، فلا تراه عين ، ولا تسمع بخبره أذن حتى يتلاشى فى التراب . وبين هاتين المرتبتين مراتب لا يحيط بها إلا علم الله ، تظهر أو لا تظهر حسب قوتها والظروف المهيئة لها .

إن العبقرية أهل للتقديس على اختلاف مشاربها : كيفما أشرقت ، وأينما أشرقت ، ومتى ما أشرقت .

لا يختلف فى تقديس عبقرى عن عبقرى باختلاف ميدانه ولا مكانه ولا زمانه ولا آثاره ، ولكن بحظه من العبقرية .

وإذا قيل : إنما يتمم الله بالعبقرية لمصلحة الناس ، فاتخذنا آثارها التى هى من شأنها سواء اظهرت أم لم تظهر فعلا مقياسا لتمييزها ـ لوجب أن نقدم من بين رجالها عباقرة العقائد الذين يؤمنون ويعلمون الناس بالايمان ، أو يثيرون فى نفوسهم الايمان .

عبقرية العقيدة من شأن صوتها أن يكون صداه أوسع انتشارا بين النفوس ، وأن يكون أثره فى النفس القابلة لترديده أغزر وأعمق وأشمل تأثيرا فيها من كل صدى سواه .

١ — فعبقرى العقيدة ـ حين يعلم الناس عقيدته ـ يفجر فى نفوسهم بواعث الايمان ، فتنفجر فيها فى وقت واحد بواعث الحياة ، وبواعث الفضيلة ، وبواعث الشعور ، وبواعث الفكر ، وسائر البواعث الكامنة فى بنيتها ، ومن ثم يكون أثر العقيدة فى النفس أنوى وأعمق وأشمل من سائر الآثار .

٢ — ليس لزاما فى المستجيبين للعقيدة أن تكون لهم ملكات إنسانية ممتازة ، ولقد تكون الملكات العقلية الممتازة حائلا دون الاستجابة للعقيدة ، وبخاصة إذا لم تقابلها ملكات نفسية تكافئها وتحفظ للنفس أريحيتها كى تستجيب للواجب إذا دعاها وتجيب إليها أو تهون عليها البذل والفداء .

وحسب الناس أن تكون لهم ملكات نفسية عادية قابلة للتفجر أو الاستجابة حتى يكون لعبقرى العقيدة أثره فى نفوسهم ، كى يفجر فيها بواعث الايمان تلبية لعقيدته ، فتتفجر معها شتى البواعث الكامنة فى بنيتها فى فترة واحدة ، كما تتفجر كل الذرات فى القنبلة الذرية بتفجير ذرة واحدة فيها .

والملكات النفسية العادية — وهى كل ما يلزم لتقبل العقيدة — موفورة لكثير من الناس العاديين ، وما كانوا عاديين إلا لأن ملكاتهم عادية ، ومن ثم كان صوت عبقرية العقيدة اوسع انتشارا فى الناس من صوت غيرها .

٣ — وإذ أن الدخول فى العقيدة لا يستلزم من الانسان مواهب ممتازة ، بل حسب الانسان فيه تسليم وسلوك بسيطان — فإن اعتناق العقيدة يحول صاحبه فيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الناس امتيازا يرضى كبرياءه ، ويشبع غروره ، ويمد له فى الطموح والرجاء ، ويجعله هو ومن هم أسمى منه مكانة بأى سبب من الأسباب متساوين فى التعصب للعقيدة والغيرة عليها والتمتع بحقوقها وحمل مسئولياتها ، من غير أن يكلفه ذلك أن يكون مستحوذا على مواهب ساميـــة كمواهبهم ، أو كفاية عظيمة ككفاياتهم ، بل قد لا يكلفه ذلك إلا مجرد التعصب لها ، وحسبه ذلك الامتياز من جزاء عاجل فى الدنيا فضلا عن الجزاء الموعود فى الدنيا أوالاخرى أو الاثنتين معا مادام معتصما بعقيدته وما أسخى العقائد بالوعود العاجلة والآجلة التى تمد فى الرجاء ، وتغرى بالطموح ، وتدعو إلى الصبر والمثابرة والعزاء .

٤ — معتنق العقيدة لا يشعر ولا يفكر ولا يعمل فى معزل عن الجماعة ، ولو كان خاليا بنفسه ، بل هو يشعر ويفكر ويعمل كعضو فى بنية الجماعة ، وذلك كفيل بأن يثير فيه كل كفاياته الفردية والاجتماعية معا ويشعره على الدوام بصلات قوية تربطه بالمجتمع ، فيكون أشد شجاعة وصلابة فى آرائه ومذاهبه ، وأعظم استعدادا للبذل والمفاداة ، وأدق معرفة بما يأخذ وما يدع من الانسان الذى يحيا بغير عقيدة ، والانسان يحيا بعقيدة بالية قد فترت وباخت فى نفسه ، وذو العقيدة يشعر كذلك بالاطمئنان والأنس والعزاء أعظم مما يشعر غير ذى العقيدة إذ يحس نفسه مبتور الصلات بالمجتمع ، وأعظم مما يشعر ذو العقيدة البالية الفاترة إذ يحس بتهافت الصلات بينه وبين المجتمع . وفى إحساس هذين النوعين ما فيه ، ومعه ما معه من احساس باللعنة والبلبلـــة والاضطراب والتيه ، وكله مما يثبط الهمم ، ويغشى البصائر ، ويغرى بالجبن والحرص والانكماش . فالانسان هو — وهو يحس بالمجتمع ، ويستجيب لدواعيه — أقوى وأبصر وأشجع منه وهو محروم الإحساس به مصروف عن تلبيه دواعيه . إذ لا قوة ولا بصر ولا شجاعة إلا بإيمان .

هذا إلى أن العقيدة تربط الجماعة أقوى مما تربطها رابطة اجتماعية أخرى أساسها الاشتراك فى رأى ، أو عمل ، أو مهنة ، أو مكان ، أو نحو ذلك مما يشعر الجماعة بوجود مصلحة مشتركة بين أفرادها لا غنى لهم عن التعاون عليها ؛ فالعقيدة تثير كل القوى وتستوعبها ، وتحدد الغاية والوسيلة ، وتتسع حتى تشمل الحياة وقد تمتد إلى ما وراء الحياة ، ولا تدانيها فى ذلك رابطة اجتماعية أخرى ولا باعث حيوى آخر .

٥ — وعبقرى العقيدة يعى من خفايا النفوس الانسانية بداهة أوضح وأكثر مما يعيه غيره بالتفكير الطويل بالغا ما بلغ من الذكاء والدربة والصبر ، ، لأن نفس العبقرى صورة شاملة للنفس الإنسانية على اختلاف قواها وأحوالها ونزعاتها واحتمالاتها ، ومن ثم يعى هذا العبقرى كل صغير فى الناس وكبير ، ويعى حقه وواجبه الذى ينبغى له ، وطريقه الذى يصلح له ويغنى فيه ، وما يحس معه أو يسوء من السياسات ، فيسوس كل نفس بسياستها الخاصة ، ويشرع لها شريعتها اللائمة بلا بخس ولا محاباة .

٦ — وشخصية عبقرى العقيدة وسيرته مثل حي مجسم لعقيدته ، فهو لا يقول إلا ما يفعل ، ولا يفعل إلا على هدى من عقيدته ، ولا يدعو إلى ما دعا نفسه إليه فأجابته ، ولا يكلف نفسا إلا ما كلف نفسه مثله أو أشق منه ، وهو فى طاقة المستجيب بعد أن أمدته بواعث الايمان بكل ما فى نفسه من استجابة تكفل السمع ، وتكفل الطاعة ، ومن ثم تكون شخصية عبقرى العقيدة وسيرته وأقواله مصدر حياة وإيمان وتشريع ، وذلك

كفيل باستمرار حياة عقيدته في المستجيبين إليه ، وبتنقلها في طبقة إلى طبقة ، وفي جيل إلى جيل .

وتشمل عبقرية العقيدة في الدعاة إلى العقائد الدينية كالأنبياء ، والدعاة إلى العقائد الوطنية أو السياسة أو العنصرية كالزعماء ، والدعاء إلى العقائد الفنية أو الفلسفية أو الصوفية كأصحاب المذاهب النظرية ذات النزعات وكل منهم صاحب عقيدة لها مقاييسها الخاصة ، وكل منهم مؤمن بعقيدته معتصم بها يدعو الناس إلى الإيمان بها والتزامها في مضمار من مضامير الحياة ، وهم جميعا معتقدون ، ومعلمون لما يعتقدون .

للعلم بقية

محمد خليفة التونسي

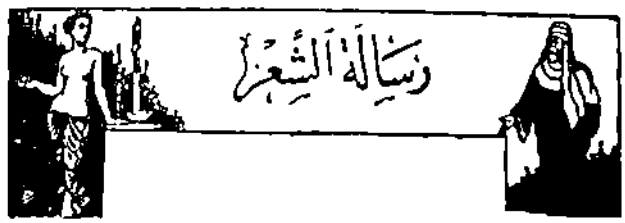

فكرى

لسعادة عزيز أباظه باشا

« قصيدة عالية ألقيت عن سعادته في الحفل الخاص الذي أقامته العائلة الأباظية تكريما لسعادة فكري باشا »

قبلوا الباشا وضموه أشد الضم عني
واسكبوا في أذنيه هذه الهمسة مني
ليست الرتبة شيئا وهي حلم المتمني
إنه المعنى الذي تحمل يجزيك فيغني

لم تلهها في حمى مال ولا جاه وسن
لا ولا بالحسب المعتد من بطن لبطن
لا ولا بين زحام الناس قرنا فوق قرن
انك الواحد لا أظلم نفسي وأثني
واحد الكتاب في لونك تبكي فتغني

تبدع الفن الذي يقصر عنه كل فن
قلم من سرحة الخلد مغذ متأن
رف واستعلى فان سوى يضني ويعني

سال كالطل إذا انهل على اكمام غصن
قاطما في غير طعن مبرئا في غير من
قاسيا في غير فدح ، ليناً في غير وهن
مرمى الفكرة والرأي على أمتن ركن

وخطيب أيقظ الأمة بالصوت الرنن
أو حدى اللحن ترجيه فيشاو كل لحن
تنشد الحق وتسمو عن حزازات وضغن
يكثر المنبر ما أوتيت من سحر ووزن
ود لو يسعف بالنطق فيثني ثم يثني

يا لداني وضأ الله لكم جنات عدن
كل غصن جفف الموت نداه إثر غصن
قلب الدهر علينا بعدكم ظهر المجن
ثم والى بعد حيف وارعوى بعد تجن
سبحوا في رفرف الخلد بقلب مطمئن
أكرمت مصر أخاكم وحبت في غير ضن

إيه يا فكري ومن يعرفه أكثر مني
كنت لي خدنا إذا ضيع عهدي كل خدن
ما تهجنت ودادي ، لا ولا أخلفت ظني
انت إشراقة روحي ، أنت إغفاءة جفني
ماثل في حبة القلب وفي انسان عيني
إن أهنيء فبمن أبدأ ؟ بالله أعني
انت نفسي يا أخا العمر فنفسي من أهني

عزيز أباظه

أطلال راقصة..

للشاعر صالح علي شرنوبي

« إليها ... إلى السكينة التي نبذتها الحياة » « وما زالت تعيش على ذكرياتها ... »

طرقي ... أطرقي، فقد ضمك الليـــل ... وألقى عليك ثوب ظلامه
طرقي ... فالحياة في قلبك الظـــلم ماتت ... موءودة في حطامه
يا ابنة الفقر ... مزقتك سوافيـــه .. فلا تذكري أمسي أيامه
واقبعي في غياهب الليل.. حتى يشرق الفجر من وراء غمامه

قبعي ها هنا ... ولا تغفري فا ... لك بقول ... مستحدث ... أو معاد
اودعي الليل مثلما جاء يمضي ... والبسي من دجاه ... ثوب حداد
ودعيني أصغي إلى همسة الحا ... ئر ... بين الآزال ... والآباد !
لاتضجي ... ولاتضيقي بصمتي ... فهو زادي وعدتي وعتادي

دونك الكأس .. فاشربيها .. وذوقي
لذة الموت ... في ثنايا الرحيق
أشربيها ... فأنت قصة دنيا ... ها ... وناي في حضنها . واستفيق
واسأليها ... فعندها علم أيا ... مك ... منذ القديم في الطريق !
اسأليها ... ولا تكفي بكاء ... فوق أطلال فجرك المشنوق

قصة الكأس... أنت مثلتها يو ... ما فقد كنت مثلها .. للجميع !!
يوم كان الزمان فيك ربيعا ... عبقريا ... وكنت روح الربيع
دفنت عطرك الأماصير يابلهـــاء.. فابكي... واستمتعي بالدموع
وإذا شئت أن تعيشي على الوهـــم . ففني ... قبل انطفاء الشموع

لاتثوري على الحياة... فقد جفـــت... زهور الحياة . في راحتيك
كنت... والحسن والشباب . فأصبحت... وما من أولاء شيء لديك
فاعذري الناس إن مضوا عنك لا يلوون ... فالنور مات في عينيك !
ودعي الذكريات . . تفتات ما أبقت أفاعي الظلام ... في شفتيك

لم يعد فيك ما يسر العيونا ... فاعذري العابثات ... والعابثينا
نسلت ريشك المنايا... وأبقت ... جسداها لكا ... وروحا حزينا
وبقايا قلب ... وأشلاء نفس ... وشعاعا ـ تحت الرماد ـ سجينا
وحطاما قد مضمضته الرزايا ... يتعزى مداما ... وأنينا
فإذا ما أعياك خبث الغواني ... فاغمري كيدهن صفحا ولينا
وإذا أيقظت شجونك حورا ... وأغرت بقبحك الشامتينا
فاسخري من جمالها .. وصباها ... واحقريها بكثرة العاشقينا !
أو .. عظيها.. فرب شيطانة منكـ ... ـرة قالت فأبكت الواعظينا

حدثيها عن الهوى ... والرفاق ... والليالي ، والخمر ، والعشاق
وجـوم أشقيتها بالتنائي ... وجـوم أسعدتها بالتلاق
حدثيها عن كل شيء سوى الحـ ... ـب ... فما عندكن غير النفاق
حدثيها عن الفتى الناعم الممـ ... ـراح ، أعمى المواطف ، الأفاق
كيف أغراك ذات ليل ... وولى ... هاربا من عفافك المهراق
تاركا ثوبك الممزق للنا ... ر .. وعصف الرياح والأشواق
حدثيها.. مادام في كوكب الممـ ... ـر .. شعاع مهدد بالمحاق
ثم غيبي عن زحمة الموكب الأعـ ... ـمى . وعيشي للحزن . والإطراق

صالح علي شرنوبي

كلمـــا ..

كلما أسمع لحنـــا عبقري النغمات
أو أرى الأنداء تحبو الزهر عذب القبلات
أو أجيل الطرف يا نجواي بين الصفحات
أنمي لو تكونين معي في خلواتي
فهنا أشـــعر حقا بخبايا الكلمات
ومعاني النغمات ، وغرام الزهرات
أنت لو تدرين قد أمسيت مقياس حياتي
فبك الكون يولي ، وبك الكون يؤاتي
أنت.. من أنت؟ وهل في قدرتي أعرف ذاتي؟!

محمد محمود عماد الحماسي

الأدب والفن في أسبوع

للاستاذ عباس خضر

معركة القزويني في الأزهر :

هي معركة طريفة بين أستاذين من أساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر ، هما الشيخ عبد المتعال الصعيدي والشيخ محمد عبد المنعم خفاجي ، وتدور رحا المعركة على كتاب « الإيضاح » في علوم البلاغة للخطيب القزويني. وذلك أن الأستاذ الصعيدي شرحا لهذا الكتاب يتداوله الطلاب منذ سنين ، فجاء الأستاذ خفاجي ووضع له شرحا آخر أخذ طريقه أيضا إلى أيدي الطلاب، فأصدر الشارح الأول كتابا اسمه « تنوير الطلاب » نقد فيه مسلك الشارح الثاني في وإخراج الكتاب تعليقاته عليه ، وقال: إنه عنى بنقل عبارات الحواشي ومماحكاتها اللفظية بأسلوبها الذي لا يليق بعصرنا.. فهب الشارح الثاني يدفع الغارة عنها ، فأصدر نشرات تحمل عناوين مثل « بيني وبين الناقد العالمي البرو فسير الأستاذ الصعيدي » و « بيني وبين زعيم المجددين في البلاغة » وقد ذهب في هذه النشرات إلى أن الأستاذ الصعيدي حشى من منافسة شرحه الذي كان الميدان خاليا له من قبل . ومما قاله : « والطريف حقا أن ناقدنا الكبير يرى أن الإيضاح ملك له وأنه كان حجراً محجوراً على سواه أن يتناوله بالشرح والتعليق ، لأن عمل الناقد فيه معجزة الأجيال ولأنه قد فرضه على الطلاب المساكين فرضا وحمله إليهم في حقيبته صباح مساء »

وتتمودات النشرات والحملات بين الأستاذين الجليلين، بعضها في التجريح الشخصي ، وبعضها في مسائل « العلم » من نحو إسناد بيت من الشواهد إلى غير قائله أو تحريف فيه أو توجيه القول « المصنف » ومما اختلفا فيه : هل مقدمة « الإيضاح » مقدمة كتاب أو مقدمة علم ! وكم في ذلك من نظر !

ويقول الأستاذ الصعيدي : « ويا ويل الأزهر في عصر الذرة إذا علم الناس أنه لا يزال يبحث في متعلقات الفعل ، ألامها مكسورة أم مفتوحة » فماذا يقول الناس إذن إذا علموا أن أساتذة الأزهر — في عصر الذرة — لا يزالون يستنفدون جهودهم في المراك على إيضاح القزويني؟ وليت الأستاذين الفاضلين بذلا هذه الجهود في تأليف بلاغة أخرى غير بلاغة الايضاح ، تجدي على الطلاب في تنمية ملكاتهم الأدبية على النحو الوافق للعصر ، والاستاذ الصعيدي نفسه يرى ان تلك البحوث التي يحويها الايضاح وأمثاله مماحكات لفظية وأنها لا تليق بعصر الذرة ، فلم إذن يشغل نفسه بشرحها والتعليق عليها والمراك من أجلها ؟

والعجيب أن يصنع الأستاذ ذلك وله نشاط معروف في الكتابة والتأليف ؛ ولكن يظهر أن المسئولين عن مناهج الدراسة في الأزهر هم المسئولون عن ذلك ، فإن التمسك بتلك الكتب جعل الأساتذة — حتى المنتج منهم — يدورون حولها ثم يتنازعون عليها ، وكان الأولى أن تصرف هذه الجهود في العمل المنشود لإحياء التأليف اللائم للعصر بالأزهر .

ويبدو لي أن تلك المعركة لا يفضها إلا أحد أمرين ، الأول أن تلغى دراسة الإيضاح من الكلية ، فيرفع « اللحاف » من بين المتنازعين عليه ، وبهذا تخلص العقول الجديدة من تنافره وتعقيده . الأمر الثاني أن تبلغ مجلتنا « الرسالة » إلى « قزوين » حيث يعلم بالأمر أحد أحفاد الخطيب القزويني.. فيطالب بحقه في « الإيضاح » الذي ألفه جده الكبير ...

شكوى شاعرين من « الشاعر »

شكا إلي شاعران من مجلة « الشاعر » التي يصدرها الزميل الكريم الأستاذ محمد مصطفى المنفلوطي ، وهما الشاعر العراقي الأستاذ ابراهيم الوائلي والشاعر السوداني أبو القاسم عثمان . يقول الأول : « جاءني ذات يوم صديق شاعر وطلب مني أن أسهم في عدد خاص من مجلة اسمها « الشاعر » وقال لي : إن العدد الخاص سيكون عن الربيع ، فاستجبت لرغبة الصديق بقطعة عنوانها (ربيع النيل) . وجاءني العدد الخاص فإذا القصيدة قد حذف أجمل

ما فيها ، فتمزقت وحدتها .
وقال لي صاحبي : إن صاحب المجلة فعل ذلك لأن نصف الصفحة الذي خصص للقصيدة لم يتسع لها ، فكان الحذف والبتر »

ويشكو الثاني نفس الشكوى فيقول : إن قصيدته كانت ثلاثين بيتا أسقط منها أربعة ، لأن الصفحة لم تتسع لأكثر من ستة وعشرين ، ويقول : « ولما لم يكن هناك عذر في عدم نشر القصيدة كلها إلا ضيق المقام فإن ذلك عجيب من مجلة تحمل اسم (الشاعر) ذلك الاسم العظيم الذي لا يعرف الحدود ولا القيود »

وظاهر من كلام الصديقين الشاعرين أن المجلة عمدت إلى ذلك التصرف محافظة على نظام الصفحات .. ولا شك أن وقوع ذلك من مجلة خاصة بالشعر غريب ، فإن أعز ما يتمسك به الشاعر العصري هو تسلسل معانيه وارتباطها ، وإذا اقتضى بعض التنظيم الصحفي تحييف الموضوعات لتظهر الصفحات على نسق معين ، فإن ذلك لا ينبغي أن يكون في المجلات الأدبية التي يراعى فيها الموضوع قبل الشكل ولا إخال الأستاذ المنفلوطي — وهو الشاعر صاحب « الشاعر » — إلا ملاقيا عقاب زميليه الشاعرين وتعقيبنا بقبول حسن .

على أنني مع ذلك لا أخفي شعوري بالشاعرين فيما جرى لشعرهما الذي قالاه في هذا الربيع الزعوم في مصر . ولو لم تكن قصيدة الوائلي عنوانها « ربيع النيل » [illegible] بجمال الربيع في العراق ؛ أما أبو القاسم فلا أدري أين شاهد الربيع ، وليس في السودان ربيع غير الشتاء الدافئ ، فهناك الآن الحر اللافح ، كما أن هنا الآن في مصر تقلب الجو الذي حيرنا بين التخفيف والتثقيل ، ونالنا من شره قذى في العيون وبرد في الأجسام مختلف الألوان . وعلى رغم كل ذلك لا يزال إخواننا الشعراء في مصر مصرين على التغني بالربيع !

المسرح المدرسي :

أتيح لي في هذا العام أن أكون على مقربة من النشاط المسرحي في المدارس الثانوية بالقاهرة ، وأن أشهد الحفلات التي أقيمت لنيل كأس وزارة المعارف في المباراة المسرحية . وقد رأيت فرق المدارس تبذل غاية وسعها في هذا السبيل ، كما لمست الجهد الباور الذي تبذله مراقبة المسرح في الإشراف على هذا النشاط وتوجيهه ، وهو

كشكول الأسبوع

▫ احتفل يوم الجمعة الماضي في قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة فؤاد الأول ، بتوزيع جوائز فؤاد الأول لسنة ١٩٥٠ ، وقد تحدث معالي وزير المعارف بالنيابة عن هذه الجوائز فقال إنها تمنح كل عام لصاحب أحسن انتاج في العلم والأدب والقانون في مدى خمس سنوات ، وأشار إلى أن جهود الباحثين والأدباء في مصر تزداد عاما بعد عام ، ثم أعلن قرار لجنة الجوائز الذي يقضي بتأجيل جائزتي الآداب والقانون إلى العام القادم ومنح الدكتور عبد السميع مصطفى والدكتور محمود الشنيطي بك جائزة العلوم مناصفة بينهما .

▫ جاء من باريس أن معالي الدكتور طه حسين بك افتتح كرسي محمد علي باشا الذي انشأته مصر في معهد الدراسات الثقافية لبلاد البحر الأبيض المتوسط في مدينة نيس بفرنسا فألقى محاضرة عن العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا منذ عهد محمد علي الكبير ، قال فيها إن محمد علي هو الذي انشأ لأول مرة هذه العلاقات ، ولذلك أطلق اسمه على هذا الكرسي .

▫ نشرت مكتبة النهضة المصرية أخيرا « تلخيص كتاب النفس » لابن رشد ، وقد ألحق به أربع رسائل هي رسالة الاتصال لابن الصايغ وكتاب النفس لابن حنين ورسالة الاتصال لابن رشد ورسالة العقل ليعقوب الكندي . حققها جميعا الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، وكتب مقدمة وافية مهد بها لفهم كتاب النفس لابن رشد الملخص عن أرسطو . والكتاب حلقة من السلسلة العلمية القيمة التي يخرجها الدكتور الأهواني .

▫ تنشر الأهرام في بعض الأيام كلمات بعنوان « حديث أختاه » وتوقيع « أختاه » أولا يعلم الكاتب أو الكاتبة أن « أختاه » لفظ منادى مثل « يا أختي » ؟ !

▫ لم تستطع اللجنة المؤلفة في الاذاعة للشئون الثقافية ، أن تثبت لي أي شأن من هذه الشئون لعدم وجود أي موظف مسئول عن « الثقافة » في الاذاعة . وقد لوحظ أن المنحدرين لم تصل إليهم مكافآتهم عن الأحاديث التي أذاعوها منذ أكثر من شهر .

▫ تقرر أن تعقد الدورة القادمة لحلقة الدراسات الاجتماعية للبلاد العربية بمصر في شهر نوفمبر القادم . وقد تلقت وزارة الشئون الاجتماعية مجموعة المحاضرات والتعليقات والبحوث التي ألقيت في دورة الحلقة الماضية ببيروت ، وستقوم بطبعها وتوزيعها على الدول العربية التي اشتركت في الحلقة وغيرها من الدول المعنية بتتبع تطورات الحركة الاجتماعية في مصر .

▫ « الجاسوسة الحسناء » يقرأ لها الناس في « المصور » منذ أكثر من عشرين سنة ، فلا بد أنها قد أصبحت الآن « جاسوسة » شمطاء »

جهد مثمر ولكنه محدود وقليل الوسائل .

وقد اختير للمباراة فى هذا العام مسرحية « عزة بنت الخليفة » للمرحوم ابراهيم بك رمزى ، وهى رواية تاريخية تقع حادثتها بمصر فى عهد الخليفة الحافظ من الخلفاء الفاطميين ، ولا يقصد منها وقائع ولا حقائق تاريخية وإنما هى قصة تحليلية إنسانية تدور حول عزة بنت الخليفة التى فقدت بصرها وهى صغيرة ، ويحبها أمير من الشام إذ يرى بمالها وبمالة نفسها . ولا يشك من يحبه أن يعلم أنها ضريرة ، وفى القصة أيضا عاطفة الأب الذى يحنو على ابنته ويبتئس لفقد بصرها ويعمل جاهدا على إرجاعه إلى عينيها . وقد لاحظت أن الطلبة لم يبلغوا الشأو المطلوب فى المسرحية لأنه يحتاج إلى أكثر من شباب يتمرن ، كما لاحظت أنهم — على وجه العموم — لا يجيدون فى الروايات التاريخية مثلما يجيدون فى الروايات العصرية ، فقد قدمت الفرق المدرسية إلى جانب تلك الرواية مسرحيات أخرى مختلفة . وذلك يرجع فيما أرى إلى ضعف التحصيل التاريخى مما يصعب عليهم معه الاندماج فى بيئة الرواية ويرجع كذلك إلى ضعفهم أيضا فى النطق العربى وقلة مرانهم على الإلقاء الفصيح .

وكثير من نظار المدارس يتخذون من هذه الحفلات مجالا للاعلان عن أنفسهم ، فيزحمون البرنامج بالخطب ، فإما أن يخطب الناظر معددا مفاخره .. فى إدارة نواحى النشاط بالمدرسة ، وإما أن يشيد أحد المدرسين بهمة حضرة صاحب العزة ناظر المدرسة ! وقد عمدت إحدى المدارس إلى « إخراج فلم » يصور الناظر يستعرض (الطوابير) أو يتفقد المطعم ويفحص (الحلل ...) وهكذا ترى عين عزته على كل شىء فى المدرسة ... كما قال المدرس الذى كان يصاحب العرض بصوته .

ومهما يكن من شىء فهناك حقيقة مهمة ، وهى التربية المسرحية الفنية فى بيئات المدارس ، وهى الغاية التى يتجه إليها الأستاذ زكى طليمات مراقب المسرح فى وزارة المعارف ، فإنا نجد الطلبة مقبلين على هذا الفن بشوق ونشاط ، سواء فى ذلك المشتركون فى التمثيل والمشاهدون . وذلك يدل على طواعية هذا الجمهور الناشىء وصلاحيته للاستفادة من المسرح الذى هو مجمع للفنون المختلفة من أدب وتمثيل وتصوير وموسيقى وما تخلفه هذه الفنون من توجيه اجتماعى وثقافى وتربية وطنية وخلقية . ولا أحسب وزارة المعارف إلا مقتنعة بهذه الفوائد ، وخاصة فى عهد وزيرها الحالى الأديب الفنان . ولكن يبقى بعد ذلك أن نلاحظ أن ما تبذله من العناية فى هذا السبيل لا يساوى ولا يدانى ما ينشد من غايته ، وهو لذلك يقصر دونها ، فقد رأينا الفرق المدرسية يدربها المدربون الفنيون الأكفاء ، وهذا العدد القليل من خريجى معهد التمثيل لا يكفى ، على أنهم يعاملون بالمكافأة المادية القليلة ، وهم يعملون على هامش النظام المدرسى ، فليسوا موظفين دائمين ، بل تصرف لهم المدرسة مكافآتهم الزهيدة من مال النشاط المدرسى . فإهمال الدولة لهؤلاء الشبان الفنيين جزء من عدم عنايتها بالمسرح على وجه العموم . على أن كل ذلك الجهود المحدود قليل الوسائل إنما هو فى مدارس القاهرة ، أما بقية مدارس القطر فإن الاشراف الفنى على النشاط المسرحى يكاد يكون معدوما فيها وهذه الظاهرة المسرحية المدرسية توازى الظاهرة المسرحية العامة فليس فى مصر فرق تمثيلية يعتد بها فى غير القاهرة .

إننى أعتقد أن وزارة المعارف هى التى تستطيع أن تغذى أو تبعث النهضة المسرحية فى هذه البلاد ، وذلك بتربية الجيل الناشىء على تذوق الفن المسرحى وحبه ، وبإعداد المشتغلين بالفن من الشباب المتعلمين ، ولكنا نراها مع الأسف تسير فى ذلك سير السلحفاة ، والمظهر الجدى الوحيد لاهتمام الوزارة بالتمثيل هو معهد التمثيل العالى . أما مراقبة المسرح فهى مدمجة فى إدارة عامة أنشئت حديثا اسمها إدارة النشاط الاجتماعى والرياضى ، فكأن الوزارة بهذا الوضع تعتبر فن التمثيل أحد أنواع هذا النشاط الذى لم نر منه إلى الآن إلا رحلة فى الصيف إلى الاسكندرية ورحلة فى الشتاء إلى الأقصر ... وهذه الإدارة جديدة لا يزال موظفوها يكتبون المذكرات ويضعون الخطط ، ونحن نرجو لها التوفيق فى خدمة الشباب ، ولكن هذا كله غير فن التمثيل الذى توضحت معالمه وأرسى القائمون به قواعده .

عباس خضر

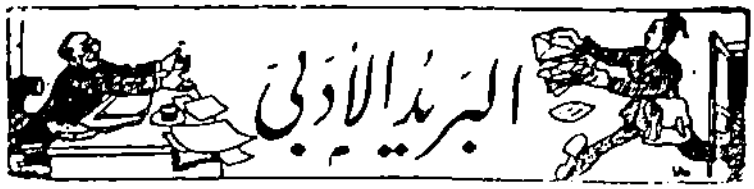

زكرى الرافعى

فى هـذه الأيام تطلنا الذكرى الثالثة عشرة لفقيد العروبة والبيان العربى المغفور له السيد مصطفى صادق الرافعى ، فقد لقى وجه الله فى اليوم العاشر من مايو عام ١٩٣٧ .

ولقد كنت أهم باعداد مقال مسهب عن هـذه الذكرى العاطرة ، بيد أنى حين رجعت إلى كتاب « حيـاة الرافعى » وجدت أن أديبنا المتمكن الأستاذ محمد سعيد العريان لم يترك زيادة لمستزيد ، وبخاصة أن جزءاً كبيراً من كتابه نشر منجما فى « الرسالة » سنة مات الرافعى .

واليوم إذ تنطوى الأحقاب على ذكرى أديب العروبة الكبير نفتقد مكانه فى الأدباء فنجده شاغرا ، ولا نجد فى أدباء الشباب من يسير على غراره ويقتفى أثره ، فقد كان الرافعى - رحمه الله - يدعو للغة العربية « المسلمة » ، ويتعصب « للعبارة القرآنية » وكان إذا هم بالكتابة فزع إلى تراث الأقدمين ، فيطالع صفحة أو صفحات من كتاب عربى مبين ليقوم أسلوبه ويجريه على سنن الفصحى .

ولقد أشاد مصطفى صادق الرافعى بأمجاد العروبة ، وحلق فى الآفاق بتراث الشرق فبز المتأخرين وما قصر دون المتقدمين .

ولقد كانت بينى وبين الكاتب الكبير جيرة فى رمل الاسكندرية يوم كان يصطاف سنوات متوالية ، فحمدنا الجوار ، وشكرنا الصحبة ، وفيما نحن نرتقب الأوبة إذا بالنعى الأليم يطالعنا مصبحين !

ولقد أرسلت هذه الكلمات تحية لذكرى الكاتب والصديق العظيم ، والمرض الوجيع يعرقنى والحمى تعاودنى حيناً بعد حين ، فعفوا - أبا سامى - ووالله ما نؤدى كفاء حقك علينا ولا على العروبة ، وإنما لك عند الله حسن الجزاء .

٣٩ ٥ ٣٤ منصور جاب الله

بين العتاب والعتاب

طالعتنى من روضة الرسالة الفيحاء كلمة الأديب الأزهرى المتوثب محمد القاضى خليل الوجهة إلى شخصى ، وفيها الثناء الكريم والشكر المحمود والظن الجميل ؛ ومع تقديرى للدافع النبيل الذى دفع بالأديب إلى هذا الشكران والتعليق ، أهمس فى أذنه بأنه استخلص من حديثى ما لم أرده ، وحمل عبارتى من المؤلفات الأزهرية ما لا تحتمله ، إذ ظن أننى أعتبر هذه المؤلفات الجديدة هى غاية القصد والمراد من شيوخنا الأجلاء ، وأعلام نهضتنا الأزهرية المرموقة ، مع أن ذلك لم أرده ولم أقله ؛ فعنوان المقال : « الأزهر فى مفترق الطرق » يدل على أن الأزهر لم يبلغ بعد ما يريد وإن كان يسير ، ولهجة المقال كله تنادى بالقول بأن الأزهر حائر مضطرب مزلزل الخطا ، لا تزال فى دور الانتقال ، ولا يزال يتعرض لمحنة الذبذبة بين القديم والجديد . وقد أقمت من الشواهد على ذلك ما أقمت ، ثم عرضت لموضوع الكتب الأزهرية عرضا سريعا موجزا ، ذكرت فيه أن كتبا جديدة قد ألفت بأقلام أزهرية ، وأن هذه الكتب فيها ملامح النهوض والاستعداد لنهضة علمية مأمولة ، نستولى فيها بعد قليل على الأمد ، ويطيب عندها قطف الثمر والاستمتاع بالحصاد ؛ ولعله من العسير - إن لم يكن من المستحيل - أن تطلب إلى أسير ظل مقيداً أجيالا طويلة أن يفك قيوده فى سرعة وعجلة ، ثم ينطلق عقيب فكها مباشرة فى عدو وجرى متتابع ! ليس هذا من سنن الحياة أو الأحياء فى شىء !

وإذن فلنعتبر - كما حاولت أن يفهم القارىء من كلامى السابق - هؤلاء السابقين من المؤلفين روادا يكشفون لنا الطريق، ولا يمنعهم أبدا أن تكون لهم عثرات أو هفوات ، أو تؤخذ عليهم ملاحظات ، أولا يتسم عملهم التأليفى بالكمال والتمام ، فإنهم جنود الطليعة ، وهم بلا شك يتعرضون لمعاطب الطريق وفجاءات السبيل .

والمهم هنا أيها الشبل المتوثب الثائر أن يتصل سبب الانتاج والاخراج والتحسين والمضى إلى الأمام ، وحينئذ تنتهى فترة الانتقال والاضطراب ، وتبدأ مرحلة الاستقرار والبناء !

إن الأزهر من دعائم دين الله فى أرضه ، ولعله اليوم أقواها وأعلاها ، فلنحطه بالرعاية والعناية وحسن التوجيه ، بله أن نتطاول عليه بصريح الهجوم وعنيف التحطيم ، وكان الله للأزهر !

أحمد الشرباصى
المدرس بمعهد القاهرة الثانوى

ولكن لو سمعوا أنصافهم ...!

لقد أحزننى وحز فى نفسى ، أن أرى تلك المنارة الشامخة التى تهدى الناس على مر العصور إلى طريق الحق ، تصبح بين آونة وأخرى غرضا لسهام أناس لم يعرفوا للأزهر جلاله ، ولم يفطنوا إلى أن للنقد الذين الرقيق من الأثر مالا يحتاج إلى برهان ! فضلا عن أنه من العوامل الهامة فى الإصلاح المنشود .

وأبكانى — ولست أزهريا — أن يأتى النقد على صور مفزعة تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ومن تلك الصور من يأتى بنتف أبواب فى أصول الفقه قد قرأها ولم يستسغها — وكأنه يريد أن يكون مشرعاً — فبنى عليه رأيه ، وثار تلك الثورة التى لا يكون من ورائها إلا بلبلة الأفكار وزلزلة العقيدة ؛ فياليت شعرى ، كيف يصبح عالما ذلك الذى يريد أن يحذف من أبواب الفقه مالا نحتاج إليه فى حياتنا ؟ وهل كل ما نحتاج إليه ندرسه ، أو كل ما ندرسه نحتاج إليه ؟ وما كان الجديد إلا من صميم القديم .

ما ضركم يا طلاب الأزهر أن تدرسوا وتتفقهوا وتطهروا قلوبكم من تلك الاعتراضات الزائفة والتى تظهر عوار الكسول والتى لا يكون من ورائها إلا البعد عن العلم وآدابه وقد قالوا : ان العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك » . فمن أعطى العلم حقه من اليقظة والمناقشة والأدب حاز الفلاح والنجاح .

لا لوم على الأزهر ولوم الأزهر ، وإنما يقع اللوم على تلك النفوس التى تتمسك بالقشور وتترك اللباب ، وقد ركنت إلى الكسل ولم تتطهر وتتأدب بآداب الدين .

فمن للدين — يا إخوانى — إن كنتم كذلك ، ومن لحمايته — وأنتم حماته — إن كنتم من عوامل هدمه .

على أننى لا أنكر أن الأزهر فى حاجة إلى عناية القائمين عليه ، وقد بينها أستاذنا الزيات فى مقالاته فى الرسالة الزاهرة ، وصورها بصورة تقر العين وتشرح الصدر .

حيا الله الأزهر وأبقى ذكره فى الخالدين .

شطانوف — محمد منصور خضر

فى اللغة : — ساهم — وأسهم

يرى بعض الباحثين فى اللغة أن الفعل (ساهم) لا يؤدى إلا معنى المقارعة ، ويستدلون على ذلك بالآية (فساهم فكان من المدحضين) ويرون إنه لا يؤدى معنى الاشتراك ، وعلى ذلك يخطئون لفظة (المساهمة) فى قول القائلين مثلاً «شركة مساهمة» ويصوبونها بقولهم « شركة مسهمة » من أسهم بمعنى اشترك ... وحجتهم فى ذلك أن كلمة (ساهم) لم ترد فى القواميس العربية إلا بمعنى المقارعة ... ولما كانت هذه القواميس تحتج لصحة الكلمات التى توردها وتورد اشتقاقها بكلام العرب شعرا ونثرا فى عصور قوة الفصحى وقبل تسرب الدخيل إليها ، كالعصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام والعصر الأموى ؛ فإننى أرى أن كلمة ساهم تؤدى معنى الاشتراك ، ولا غبار علينا إذا استعملناها فى هذا المعنى ؛ فلقد عثرت على استعمالها فى هذا المعنى (والاشتراك) فى شعر اسلامى أموى للشاعر الحكم بن معمر الخضرى إذ يقول فى وصف أمرأة : —

تساهم ثوباها فتى الدرع فادة ... وفى المرط لفاوان ردفهما عبل

ولا يمكن أن يكون معنى (تساهم) هنا إلا الاشتراك فى الاقتسام . فلعل الأقلام الحر بعد ذلك ترحم هذه الكلمة وتهبها حريتها لتعيش فى أمن وسلام ، فهى صحيحة فى معنى الاشتراك كأختها (أسهم) وإن لم توردها القواميس ؛ ولعلها تزيد على كلمة (أسهم) أنها أخف منها وضعا ، وأكثر استعمالا وقد دربت عليها الألسنة وتعبتها الأسماع ...

عبد الجواد سليمان
المدرس بمعلمات شوبراخيت

القضايا الكبرى في الإسلام

تأليف الأستاذ عبد المتعال الصعيدي

للدكتور زكي المحاسني

سألت وأنا أجول في صحن الجـــامع الأزهر عن الشيخ الصعيدي . قلت لعلي أجده تحت رواق من الأروقة التي علت ، فأظلت . فدللت على مكانه البعيد ، لا في الصعيد . ولكن في كلية اللغة العربية . وكنت أذكر أن أحد عشاق الأسفار من الغربيين كان يقول : من زار باريس فليكتف منها بأن يرى برج إيفل والمسيو أندريه تارديو . وقد مر بالخاطر هذا القول وأنا أبحث في مصر عن الأزهري الذي رأيته كثيراً قبل أن أراه .

كنت وأنا أجوس خلال الصحن أتمثل حلقات الدرس التي لم يبق منها إلا الفلول ، فلقد انتقل التعليم من فنـاء الأزهر فوق الحصير إلى أبنية شيدت بحديد يجلس فيها التلاميـذ أهل العمائم والجبب على مقاعد مرصوفة كالتي في المعاهد المتحضرة . ثم لا ضير عليهم أن يبدأوا علم الأزهر مع حفظ الكافية والأجرومية بشيء من الفرنسية والانكليزية ، وأن يؤلفوا بين الفقه والأصـــول بضرب من الكيمياء والكهرباء .

وقد لقيت الشيخ بعد لأي في دار من دور الطباعة فأذكرني لقاؤه بموعظة نطق بها ابن القفع وهي قوله : لا يجمل بالمرء أن يرى إلا مع النساك متعبداً أو مع العلماء جاهداً . وقد لقيت هذا العالم الأزهري العظيم حيث يجمل أن يكون اللقاء بمثله .

بدا طوالا عريض المنكبين متسق الوجه . ولو أن للمعرفة أشعة لحسبتها تتلألأ في عينيه . واليوم وأنا أتحدث عن كتاب من أجل كتبه وهو القضايا الكبرى في الإسلام أعيد للبال سمته الجليل ومنظره الكريم خافقاً بعمامة وجبة يستدير عنقه فوق جلباب نق سابغ .

والقضايا الكبرى اسم مر على أسـلات الأقلام المعاصرة ، فألف في بابه الأستاذ محمد عبد الله عنان كتاباً اسمه قضايا التاريخ الكبرى ، جمع فيه كبريات من الحوادث في الشرق والغرب . وكلا المصريين نال لما صنع المؤلفون الغربيون فقد ألف نقيب المحامين الفرنسيين الغابر « هنري روبير » كتاباً بهذا الاسم . وفي فرنسة مكتبة حقوقية أصـدرت مجموعة سنوية كبرى تسمى قضايا العالم الكبرى Les grands procés de l'année

أما كتاب « القضايا الكبرى في الإسلام » الذي أنا بسبيله في هذا الحديث فهو للاستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي . ويمتاز هذا العلامة من زملائه الأعلام الأزهريين بأنه يجمع العلم الديني إلى الأدب الإنساني . فقد أذكر أن له رسالة قديمة كتبها في أبي العتاهية الشاعر العالمي درس فيها حياته وشعره ، كما نشر ديوان الهاشميات لشاعر المصر المرواني الكميت بن زيد الأسدي بتحقيق دقيق ، ورأي رصين .

وكتابه عن القضايا الكبرى في الإسلام يبدأ بعصر الرسول فيصور مؤمرات المنافقين ، وقذف عائشة ، وطلاق زينب ، ويتحدث عن مجرى الحرب في فتح مكة . وإذا هزني حديث الإفك فجعلت أتململ على مثل النار لما اعترى عائشة من الحزن يوم ذاك ، فإني ليهزني ذكر الخوارج الصلاب الشداد ، وقد وقفوا يوم التحكيم مثل أسود لا تخدعها الثعالب ، فراحوا يهتفون : لا حكم إلا لله . حتى إذا انحدرت في قراءة هذا الكتاب إلى عصر بني أمية والروايتين راعني مقتل سعيد بن جبير . إذ يعرضه الأستاذ المؤلف في صورة مسرحية رائعة . وقبل أن أقرأ كتاب الأستاذ الصعيدي أذهب مذهباً يخالفه في أمر سعيد بن جبير ، فإن قتل الحجاج كان لا يزال يعاود خيالي فأتصوره وقد قتل أزهد عالم في الإسلام ، وأوعى فقيه من التابعين لعلوم الدين . ثم أتصور هيوبه من نومه فزعاً مرتاعاً يصيح في خدمه وحشمه في قطع من الليل منهر الأنفاس ، يخيف الحراس فيقول صائحاً :

ـ لقد رأيت في المنام ابن جبير يقول لي : كيف قتلتني يا حجاج ، وكأنه كان يأخذ بعنق ليخنقني .

لكن المؤلف مد بيانه ، وبرهانه ، إلى رأي فبدل ما كنت أذهب إليه من مذاهب في شأن ابن جبير ، فلقد أفسدت السياسة علم هذا الحنيف . كان والياً على عطاء الجند سنة ثمانين من الهجرة في جيش جهزه الحجاج لغزو رتبيل ملك الترك مما وراء النهر بعد فارس . وولى عليه عبد الرحمن بن الأشعث الكندي . فلما توغل

عبد الرحمن فى البلاد وطاع له العباد اجتراً على الحجاج فخلع طاعته وظاهره على ذلك ابن جبير ، وكان ابن الأشعث الكندى خوانا حين ارتد على المسلمين بقاتلهم ويشد عضد أعدائهم يوم الفتح . وقد جرت حروب بين ابن الأشعث والحجاج أزهقت من المسلمين نفوساً كثيرة لو صرفها أصحابها إلى الفتوح لأوغلوا فى البلاد . وانتهت هذه الحروب بظفر الحجاج ، فأمكنه الله من سعيد بن جبير بعد أن نقض العهد وبايع ابن الأشعث ، فقتله بعد أن حاكمه ، وكان خصمه وحكمه .

ويختم المؤلف على العصر الأموى بحاتم البحث ، ليفتح باب العصر العباسى على مصراعيه كما يفتح باب الحكمة عن بهوها الكبير وحكامها الجبارة ، فأدخل متفرجاً على القضايا العباسية الكبرى .

وكنت أوثر الأدب ، فيجتذبنى بشار بن برد إلى قضيته ، فأشهد محاكمته مع الزنادقة فى عهد الخليفة المهدى .

وقد كان المؤلف أشبه عندى بالمدعى العام ، يصور للمحكمة جرم المتهمين حسب رأيه ووفق نظريته ، ثم يحملهم على غوارب الحكم حملا . وههنا لم يجتذبنى المؤلف ولم يغير من رأيى فى مقتل بشار فلقد راح يجمع النصوص من شعر بشار ، وأخبار الزنادقة وشرطة الملحدين الذين كانوا مكلفين بالتتبع يحملون أخبار العقول والألسنة إلى الخليفة ، وقد صنع المؤلف كل ذلك ليبرىء الحكم على الشاعر بأنه قتل من أجل هجائه وفحشه أو بسبب زندقته وإلحاده . والصحيح عندى أن الذى قتل بشاراً السياسة . فقد استبد الوزير يعقوب بن داود بالحكم دون المهدى . وكان بشار من الأحرار لم يستعبده أدبه فما تملق الخلافة ولا ذل للسلطان وكان شعبياً يؤثر أن ينفخ فى الأمة بوق الثورة من أجل حياة أسمى . فكان من قوله :

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم ياقوم فالتمسوا خليفة الله بين الزق والعود

كذلك أخطأ التاريخ ، وظن المؤرخون ووهموا . فقتل عندهم بشار بن برد من أجل الزندقة والفحشاء . وقتل عندى من أجل السياسة والثورة . لقد كان طيب العواد فلم يهج غير من استحق الهجاء . ظلمه مجتمعه فنقم لنفسه من ذلك المجتمع الظالم ومن مس العقرب لسعته إبرتها . بذلك نفى الحق بين الأنام . لقد وجد ناس فى أسقاط بشار بعد موته هذه الكلمة النبيلة :

— إنى أردت هجاء آل سليمان بن على لبخلهم ، فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمسكت إجلالا له . على أنه فرط منه هجاء لآل سليمان — والظاهر أنه كان فيه مترفقاً بهم من أجل تلك القرابة فقال فيهم .

دينار آل سليمان ودرهمهم كالبابليين حقا بالمقاريت
لا يبصران ولا يرجى لقاؤهما كما سمعت بهاروت وماروت

ومن القضايا الكبرى فى هذا الكتاب قضية خلق القرآن وما جرت من الفتن وضرب الرقاب ، وفتنة الحلاج وكنت أبحث فى كتابه عن قضية سيبويه والكسائى فلم أجده قد ذكرها . وكانت منه أملوحة لو أضافها فى كتابه وجلاها فى تصويره الفنى .

ثم مضى المؤلف فى ذكر القضايا من كبريات الحدثان فى الأندلس وعهد الدولة العثمانية حتى إذا بلغ عصرنا الحديث حط الرحال على كتاب الدكتور طه حسين فى الشعر الجاهلى يوم قامت قيامة القوم على عبقرى الشرق الذى أخرج الأدب من سجن الأزهر إلى مقاعد الجامعة .

* * *

كذلك طوفت فى قصر العدالة الاسلامية الذى بناه الشيخ عبد المتعال الصعيدى الأستاذ فى كلية اللغة العربية بالأزهر الشريف وصوره فى كتابه . فتنقلت فيه من حجرة إلى حجرة أشهد المحاكمات ، وأسمع المرافعات فأحن إلى ماض أول عنى وكنت فيه من المحامين ، ذاكراً طلعة الأزهرى الحكيم الذى زانه العلم ، وجمله الأدب ، وحلاه التواضع .

زكى المحاسنى

بائع الحب

كتاب روسارد عبر القدوس

للاستاذ أحمد قاسم أحمد

قرأت الكتاب الأول — صانع الحب — للأستاذ إحسان عبد القدوس وقضيت فى قراءته وقتا لم أرد أن أقضيه فى جد ...

وما كنت أعتقد حينذاك بأنه كتب للأدب ... ! لقد قرأته على أنه صور - كما يجب أن يسمى إنتاجه - تستطيع أن تسمها بما تريد ... إلا بالأدب ... ووقع بين يدى كتابه الثانى - بائع الحب - وأجلت نظرى فى مقدمته فاستوقفنى دهشا حائرا قول الكاتب: « وقد سبق أن أصدرت مجموعة من هذه الصور بعنوان «صانع الحب» نأثارت ضجة أدبية على صفحات الصحف ، وهى ضجة تقوم كلما حاول الأدب العربى ان يخطو خطوة إلى الأمام ... » إذن فالأستاذ إحسان قد أخرج كتابيه لا كإنتاج أدبى رفيع فحسب ، بل كخطوة يخطوها الأدب إلى الأمام ... وما كنا نعلم أن نهضة الأدب تكون على راح تلك الصور الواهية المبتذلة ، التى لا تجيد إلا وصف الشفاه الداعية فى نهم ، والنهود البارزة فى ثورة ، والأجسام المغرية فى إلحاح ... ! فإن أصر الأستاذ على ادعائه فإنا نقول له . إنك فى ذلك مسبوق لا سابق ، والذى سبقك هو ذلك الشاعر الذى تهكمت به وبشعره فى مقدمة « صورك » هو امرؤ القيس فإنك لم تزد على أن شرحت قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محول

وقوله :

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها لدى الستر إلا لبسة المتفضل
خرجت بها أمشى تجر وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحل

بطريقتك الخاصة فى القرن العشرين ... !

و « بائع الحب » لا ينتقد ! لأن النقد يرتفع فى حالتين :

الأولى : أن يتسنم الأدب ذروة الروعة والكمال ، فيتقاصر دونه النقد .

والثانية : أن يهبط إلى مهار عميقة من السخف والتبذل ، فيتعفف النقد أن يلاحقه فى أغواره ... !

ويستطيع القارىء - طبعا - أن يعرف لماذا لا ينتقد « بائع الحب » المسكين ... !

وأحب أن أقول للكاتب الفاضل إن الأدب متعة الروح ، لا متعة الجسد ، وغذاء الألباب الناضجة ، لا الحيوانية المنحطة ، وإن مصير صوره كمصير غانياته اللاتى يلقى بهن إلى عرض الطريق بعد أن يقضى منهن وطرا . . فان القارىء لن يعود إلى قراءة صورة منها لأن المتعة الخالدة معدومة فيها ، ولأن جدتها قد بليت ، وخمدت أنفاسها إلى الأبد ، بل تطايرت فى الهواء مع نفثات لفافات تارئيها ... !!

وأحب أن أقول له أيضا : إن الصحافة أجدى عليه من الأدب ، وإنه ليس أشقى من الأدب ، وعزاؤه أنه يعمل لوجه الفن الخالد

ويذكر الأستاذ فى إحدى صوره أنه انهال على صاحبته لطما وضربا ولعن آباءها وأجدادها باللغة العربية ... وإنى لأرجو ان يذكر أنه - بكتابيه - قد مثل نفس الدور مع الأدب العربى . وأن يذكر أيضا أننا نستطيع أن نعتبره صحفيا ناجحا ولا نستطيع أن نعتبره أديبا ولو تابت صاحبته الصهيونية ... !)

احمد قاسم احمد

وزارة العدل

تعلن عن فقد أصول وصور قسائم التحصيل استمارة رقم ١٥٥ ع . ح التى تبدأ من ٧١٠٥٨٩ إلى ٧١٠٦٠٠ بيضاء بدون استعمال من محكمة الجالية الشرعية . وقد اعتبرت الوزارة القسائم المذكورة وصورها ملغاة . فكل من تعرض عليه أو عثر عليها بأى الطرق أن يعلم بأنها لا قيمة لها وأن استعمالها يعد تزويرا ويعرض مستعمله للمحاكمة الجنائية ١٩ - ٤ - ١٩٥٠ ٤٨٠١

قصة لقاء..

للأستاذ عبدالله نيازى

هذه قصة اللقاء بين جميل بن معمر العذرى وحبيبته بثينة...

وهى صورة صادقة من صور الحب فى البادية - ولون من ألوان الغزل البرىء ... ففى الوقت الذى يقطع فيه العاشق المتيم المسافات البعيدة ، ويتجشم المخاطر والصعاب - ليرى من شغفته حباً . وملأته هوى ، لا يطمع منها بغير النظر اليها - أو التمتع بالحديث منها ساعة أو بضع ساعات ، ثم يرجع وهو من النشوة يكاد أن يطير ، لماذا ؟ لأنه تحدث إلى حبيبته - وتحدثت إليه - ربما لواعجه بألطف لفظ وأعفه . وشاركته نجواه بأرق لفظ وأعذبه علها تجد طريقها إلى شباب هذا العصر الذى رق عندهم الحب وأصبح المفهوم من هذا اللفظ - هو رشف الثغور ، وشم النهود ، وإرضاء الغرائز

قال معبد المغنى المشهور وقد ذهب إلى الغريض ليسمع عنه ، فقرع الباب إلا أن أحداً لم يكلمه - فسأل بعض الجيران فقالوا : هو فى الدار ، فرجع وغنى لحناً فى شعر جميل :

علقت الهوى منها وليداً فلم لايزل ... إلى اليوم ينمى حبها ويزيد

فما شعر إلا بصائح يصيح : يا معبد المغنى - افهم وتلق عنى شعر جميل الذى تغنى فيه يا شقى النجفه - وغنى - وحين أراد معبد الانصراف إلى المدينة ، سمع بصائح يصيح يا معبد - انتظر أكلمك - فدخل وسلم - ثم جلس - وتحدثا قليلا - وخرج معبد من عنده - ورجع إلى المدينة - فتحدث بحديثه - وعجب من فطنته وقيافته ! قال معبد وذكرت جميلا وبثينة فقلت : ليتنى عرفت انساناً يحدثنى بقصة جميل وخبر الشعر فأكون أخذت بفضلة الأمر كله فى الغناء والشعر : فسألت عن ذلك فاذا الحديث مشهور ، وقيل لى : ان أردت أن تخبر عما شاهدته فأت بنى حنظلة ، فان فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يخبرك الخبر ، فأتيت الشيخ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا فى أبلى فى الربيع إذا برجل منطو على رحله كأنه جان فسلم على ثم قال : ممن أنت يا عبد الله ؟ فقلت أحد بنى حنظلة ؛ قال : فانتسب ؛ فانتسبت حتى بلغت إلى الفخذ الذى أنا منه ؛ ثم سألنى عن بنى عذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذلك السفح ؛ فانهم نزلوا من ورائه ؛ قال ياأخا بنى حنظلة ، هل لك فى خير تصطنعه إلى ؟ فو الله ما أعطيتنى ما أصبحت تسوق من هذا الأبل ما كنت بأشكر منى عليه به . فقلت نعم ، ومن أنت أولا ؟ قال : لا تسألنى من أنا ولا أخبرك ؛ غير انى رجل بينى وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العم - فان رأيت ان تأتيهم فانك تجد القوم فى مجالسهم تنشدهم بكرة أدماء تجر خفيها غفلا من السمة ، فان ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلا استأذنتهم فى البيوت وقلت : إن المرأة والصبى قد يريان مالا يرى الرجال ، فتنشدهم ولا تدع أحداً تصيبه عينك ولا بيتاً من بيوتهم إلا نشدتها فيه ، فأتيت القوم فاذا هم على جزور يقتسمونها ، فسلمت وانتسبت لهم ونشدتهم ضالتى . فلم يذكروا لى شيئاً ، فاستأذنتهم فى البيوت وقلت : إن الصبى والمرأة يريان مالا ترى الرجال ، فأذنوا ، فأتيت أقصاها بيتاً ثم استقرفيها بيتاً بيتاً أنشدهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذانى حر الشمس وعطشت وفرغت من البيوت وذهبت لأنصرف ، حانت منى التفاتة فاذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسى : سوءة ! وثق بى رجل وزعم أن حاجته تعدل مالى ثم آتيه وأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فاذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه ، فسلمت فرد على السلام ، وذكرت ضالتى ، فقالت جارية منهم : يا عبدالله . قد أصبت ضالتك ، وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر واشتهيت الشراب . قلت أجل ؛ قالت : أدخل ، فدخلت فأتتنى بصحفة فيها تمر من تمر هجر ، وقدح فيه لبن ، والصحفة مصرية مفضضة والقدح مفضض لم أر إناء قط أحسن منه ؛ فقالت : دونك ؛ فتجممت وشربت من اللبن حتى رويت ، ثم قلت : يا أمة الله ، والله ما أتيت اليوم أكرم منك ولا أحق بالفضل فهل ذكرت من ضالتى شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشرف ؟ قلت نعم ، قالت فان الشمس غربت أمس وهى تطيف حولها ثم حال الليل بينى وبينها ؛ فقمت وجزيتها الخير وقلت : والله لقد تغديت وويت !

فخرجت حتى أتيت الشجرة فأطفت بها ، فوالله ما رأيت من أثر . فأتيت صاحبي فاذا هو متشح في الأيل بكسائه ورافع عفيرته يغني، قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلت ؛ ما ورائي من شيء . قال : لا عليك ! فأخبرني بما فعلت ، فاقتصصت عليه القصة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرته بالذي صنعت ؛ فقال: قد أصبت طلبتك ؛ فعجبت من قوله وأنا لم أجد شيئاً . ثم سألني عن صفة الأنادين : الصحفة والقدح، فوصفتهما له فتنفس الصعداء وقال : قد أصبت طلبتك ورحلك ! ثم ذكرت له الشجرة وانها رأتها تطيف بها، فقال : حسبك ! فمكثت حتى إذا أوت إبلي إلى مباركها دعوته إلى العشاء فلم يدن منه ، وجلس مني بمزجر الركاب ، فلما ظن اني قد نمت رمقته فقام إلى عيبة(١) له فاستخرج منها بردين ، فأتزر باحدهما وتردى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي فجعلت أخفي نفسي حتى إذا خفت أن يراني انبطحت ، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجرات قريب من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهن، وإذا صاحبته عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غير بعيد، فقالت : اجلس؛ فوالله لكأنه لصق بالأرض ، فسلم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمعت به قط وأبعده من كل ريبة . وسألته مثل مسألته ، ثم أمرت جارية معها فقربت إليه طعاماً. فلما أكل وفرغ ، قالت أنشدني ما قلت : فأنشدها :

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمي حبها ويزيد

فلم يزالا يتحدثان ، ما يقولان فحشاً ولا هجرا ، حتى التفتت النفاقة فنظرت إلى الصبح ، فودع كل واحد منهما صاحبه أحسن وداع ما سمعت به قط ثم انصرفا. فقمت فمضيت إلى ابلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه . فجاء بعدما أصبحنا فرفع برديه ثم قال : يا أخا بني عميم . حتى متى تنام ؟ فقمت وتوضأت وصليت وحلبت إبلي وأمانني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثم دعوته إلى الغداء فتغدى ، ثم قام إلى عيبة فافتتحها فاذا فيها سلاح وبردان مما كسته الملوك ، فأعطاني أحدهما وقال: أما والله لو كان معي شيء ماذخرته عنك . وحدثني حديثه وانتسب لي ، فاذا هو جميل بن معمر والمرأة بثينة ، وقال لي: إني قد قلت أبياتاً في منصرفي من عندها ، فهل لك إن رأيتها أن تنشدها ؟ قلت : نعم ! فانشدني :

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نضوي أمصر تريد

ثم ودعني وانصرف ، فمكثت حتى أخذت الإبل مراتعها ، ثم عمدت إلى دهن كان معي فدهنت به رأسي ، ثم ارتديت البرد وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إني جئت أمس طالباً واليوم زائراً، أفتأذنون ؟ قالت: نعم، فسمعت جويرية تقول لها: يا بثينة عليه والله برد جميل ، فجعلت أثني على صنيعي وأذكر فضله . وقلت: إنه ذكرك فأحسن الذكر، فهل أنت بارزة حتى أنظر إليك؟ قالت: نعم ، فلبست ثيابها ثم برزت ودعت لي بطرف. ثم قالت: يا أخا بني عميم ، والله ما ثوبك هذا بمشتبهين ، ودعت بعيبتها فأخرجت لي ملحفة (١) مروية مشبعة من العصفر ، ثم قالت : أقسمت عليك لتقومن إلى كسر البيت ولتخلعن مدرعتك (٢) ثم لتأتزرن بهذه الملحفة فهي أشبه ببردك . ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي . وأنشدتها الأبيات فدمعت عيناها ، وتحدثنا طويلا من النهار ، ثم انصرفت إلى إبلي بملحفة بثينة وبرد جميل ونظرة من بثينة .. قال معيد : فجزيت الشيخ خيراً وانصرفت من عنده وأنا والله أحسن الناس حالا بنظرة من الغريض واستماع لغنائه ، وعلم بحديث جميل وبثينة فيما غنيت به وفيما غنى به الغريض على حق ذلك وصدقه ، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قط أحسن من جميل وبثينة ، ومن الغريض ومني ..

وهذه أبيات من القصيدة التي قالها جميل :

علقت الهوى منها وليداً فلم يزل ... إلى اليوم ينمي حبها ويزيد
وأفنيت عمري في انتظاري نوالها ... وأفنت بذاك الدهر وهو جديد
فلا أنا مردود بما جئت طالبا ... ولا حبها فيما يبيد يبيد
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها ... وقد قربت نضوي أمصر تريد
ولا قولها لولا العيون التي ترى ... لزرنك فاعذرني فدتك جدود
إذا قلت ما بي يا بثينة قاتلي ... من الحب قالت ثابت ويزيد
وإن قلت ردي بعض عقلي أعش به ... تولت وقالت ذاك منك بعيد

بغداد — عبد الله ثيازي

(١) العيبة وعاء من أدم يكون فيه المتاع

(١) الملحفة (بالكسر) اللباس فوق اللباس من دثار ونحوه ومروية نسبة الى « مرو » بلدة بفارس

(٢) المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف